مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد السادس عشر، العدد الأول، ص293- ص333 يناير 2008
ISSN 1726-6807, http://www.iugaza.edu.ps/ara/research/

أحوال الأرض ونهايتها كما يصورها القرآن الكريم

د. جمال محمود الهوبي — أستاذ التفسير المساعد - كلية أصول الدين

أ. عبهرة سميح العامودي — ماجستير تفسير وعلوم القرآن

الجامعة الإسلامية – غزة - فلسطين

ملخـص: يـتحدث البحث عن أحوال الأرض منذ سخرها ا للإنسان وإلى يوم القيامة . فيثبت البحث أن ا – جل ثناؤه – سخر الأرض للناس وجعلهـا صالحة لحياتهم إلى يوم القيامة ، وأن ا – عز وجل – هو وحده الذي سينهي مهمتها هذه بيوم القيامة ، وليس البشر أو غيرهم ، وليس أسلحة الدمار الشامل أو غيرها ، وليس اتساع طبقة الأوزون أو تغير المناخ العالمي... الخ .

ويقـرر البحـث أن نعمة الأرض التي أنعمها ا على الإنسـان قد يحولها ا – عز وجل – أداة يـبطش بهـا بأعدائه الكفرة والظالمين ، كما قلب الأرض بقوم لوط ، ورجفها وزلزلها بقوم شعيب ، وخسفها بقارون .

ويوضـح البحـ ـث مآلها وأحوالها يوم القيامة من إهلاك أحيائها ، واشتعال بحارها ، وزوال جبالها ، وامتدادها ، وإخراج أثقالها ، وحديثها للناس ، وشهادتها عليهم ، وتبديلها، ووراثة ا لها.

ثم كانت الخاتمة التي اشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

Abstract: The research deals with the beginning of life on, and its limited in the start at life on earth to lost day.

The research discusses the conditions and the end of the land all that by the ability wepons.

The research mentioned the reasons and factors of reform and benefit of this reform.

The research descripe the benefits of land, this land may chang by punisnment for unbelievers, by Allah, the vallege of mannenger loot was, turn off or by damage the land or by earthquake to shoapernation.

The research deels with the conditions and the end of the land, in which the research talks about the punisnment of nations by reversal and rift.

The researcher also talks about the refor of life till the day of judgment, then the researcher deals with the description and the shape of earth on the day of judgment, thee researcher finally ends by talking about the inheritance of Allah to the world after extinction.

The researcher end his with some scientific recommendations.

أحوال الأرض ونهايتها

المقدمة :

الحمد رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول ا الأمين ، أما بعد :

فهذا بحث متواضع بـذل فيه الباحثان جهداً مقدراً ، في تسليط الضوء على نعمه الكثيرة من نعم ا علينا التي لا تعد ولا تحصى ، ألا وهي نعمة الأرض ، والتي ينبثق عنها نعم كثيرة جداً قال تعالى : ﴿ **وإن تَعدوا نِعمتَ اللهِ لا تُحصوها** ﴾ (إبراهيم: 34) .

وأهمـية هـذا البحث تبرز في اهتمام القرآن بموضوع الأرض ، حيث ذكرها ا عز وجـل فـي نحـو أربعمائة وإحدى وستين آيـة ، ولا عجب في ذلك فمنها خلقنا ، وعليها نحيا ونعـيش ، ومـن خيراتها نأكل ونشرب ونلبس ونتداوى ونسكن ... الخ ، وهي تتحمل قاذوراتنا أثـناء حياتـنا ، وجيفـنا بعد موتنا ، استعمرنا ا فيها ، وكلفنا طاعته وعبادته مدة إقامتنا على ظهرها ، ثم نموت فيها ، ونبعث منها أحياء يوم القيامة للحساب ، فهي لنا كالأم الحنون وأكثر .

ويهدف هذا البحث إلى :

1- نيل رضى ا – عز وجل – أولاً .

2- إبراز مدى اهتمام القرآن الكريم بالأرض وأحوالها .

3- تعريف المسلمين بأحوال الأرض ونهايتها .

4- دفع المسلمين إلى شكر ا على نعمة الأرض ، وما انبثق عنها من نعم كثيرة ، قال تعالى : ﴿ **وإذْ تأذن ربكُم لئِن شكَرتُم لأزيدنكُم ولئِن كفَرتُم إن عذَابِي لشَدِيد** ﴾ (إبراهيم:7) .

ولتحقيق أهداف البحث وغرضه جعلناه في ثلاثة مباحث وخاتمة وفهرس كما يلي :

المبحث الأول : صلاح الأرض للحياة إلى يوم القيامة .

المبحث الثاني : الابتلاء بالأرض .

المبحث الثالث : أحوال الأرض يوم القيامة ووراثة ا لها .

الخاتمة : أهم النتائج وأهم التوصيات .

فهرس المصادر والمراجع .

المبحث الأول

صلاح الأرض للحياة إلى يوم القيامة

المطلب الأول : تسخيرها وإصلاحها لحياة الإنسان :

لقد وهب ا جل ثناؤه للإنسان في العالم الذي نعيش فيه مختلف أنواع النعم، فسخر له كل ما يضمن له العيش الكريم، فخلق له الهواء، والماء، والنبات والحيوان وجعل الأرض بساطاً ومهاداً، والليل لباساً ، والنهار معاشاً ، والشمس والقمر والنجوم والكواكب لمصالحه الدينية والدنيوية ، وسخر له ما في السماوات والأرض ، ولم يغفل عن أبسط الأمور، وإن هذه النعم دائمة ومستمرة حتى قيام الساعة.

أولاً: تسخير ما في الأرض للإنسان.

ورد في القرآن آيات كثيرة تدل على تسخير هذا الكون للإنسان؛ حيث قال تعالى: ﴿**هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماواتٍ وهو بكل شيءٍ عليم**﴾ (البقرة : 29) ، وقال تعالى : ﴿**ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماواتِ وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرةً وباطنةً ومن الناس من يجادلُ في اللهِ بغير علمٍ ولا هدى ولا كتابٍ منير**﴾ (لقمان : 20) .

إن هذه الآيات وغيرها فيها لفت للأنظار إلى ما هيأ ا لعباده، فالكل مسخر لنا بشمسه وقمره وكواكبه، ورياحه وسحبه، وأمطاره وبحاره وأنهاره ونباته وحيواناته ومعادنه وهذه النعم يحتاجها الإنسان ولا يستغني عنها أبداً .

وإنها لنعم كثيرة قد أتمها علينا ظاهرة وباطنة، فالظاهر الشيء المرئي كنعمة السمع والبصر والصحة والإسلام؛ والباطنة الشيء الخفي كالقلب والفهم والعقل والمعرفة وما أشبه ذلك[(1)].

وقال البيضاوي: أي أسبغ عليكم نعمه المحسوسة والمعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه[(2)].

ثانياً: إصلاح الأرض لحياة الإنسان :

لقد بين ا ﷻ من خلال آيات كتابه العزيز، كيف جعل هذه الأرض مستقرة، ومذللة لتكون صالحة للحياة عليها ويستمر ذلك إلى يوم القيامة؛ حيث وصف ا تعالى - في عديد من

---

(1) انظر: صفوة التفاسير للصابوني، (495/2)؛ والمحرر الوجيز لابن عطية، (505/11-507).

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، (349/4).

أحوال الأرض ونهايتها

آياتـه- أنـه جعـل هـذه الأرض ممهـدة ومبسطة، وفراشاً وقراراً ليعيش الناس حياتهم عليها ويتصرفون فيها، ويمشون في مناكبها، ويأكلون من خيراتها وينتفعون وتفصيل ذلك كما يلي:

أ- الأرض مهاد وفراشٌ :

فقـد قـال تعالى: ﴿**الذي جعلَ لكُم الأرض مهدا**﴾(الزخرف : 10) ، وقال تعالى: ﴿**ألم نَجعـل الأرض مهادا**﴾(النبأ : 6) ، وقال: ﴿**والأرض فَرشْنَاها فَنِعم الماهِدون**﴾ (الذاريات : 48)، وقـال تعالى: ﴿**الذي جعلَ لكُم الأرض فِراشاً**﴾ (البقرة : 22) ، وقال : ﴿ **والله جعلَ لكُم الأرض بِساطاً**﴾(نوح : 19) ، وقال : ﴿ **وإلى الأرض كَيفَ سطِحتْ** ﴾ (الغاشية : 20) .

المهاد : الوطاء والفراش، أي جعل الأرض فراشاً وبساطاً وقراراً تستقرون عليها، وما لـيس بفـراش كالجبال والأوعار والبحار فهي من مصالح ما يفترش منها؛ لأن الجبال كالأوتاد والبحار تركب إلى سائر منافعها[1].

ب- الأرض واسعة:

قـال تعـالى: ﴿**وهو الذي مد الأرض**﴾(الرعد : 3) ، وقال: ﴿**والأرض مددنَاها وألقَينَا فِيها رواسِي**﴾(ق : 7) ، أي أنها متسعة ممتدة في الطول والعرض[2].

ج- الأرض قرار :

حيـث قال تعالى: ﴿**أمن جعلَ الأرض قَرارا وجعلَ خِلالَها أنْهارا**﴾(النمل : 61) ؛ وقال: ﴿**الله الذي جعلَ لكُم الأرض قَرارا**﴾(غافر : 64) .

أي جعلهـا لكم مستقراً تستقرون وتعيشون عليها وتتصرفون فيها وتمشون في مناكبها وأرساها بالجبال الشامخات لئلا تميد بكم[3].

وبعـد: ففي هذه الآيات إشارة إلى السير في حياة البشر على هذه الأرض، حيث أعدها ا لتكون لهـم سكناً مريحاً وملجأ وافياً كالفراش، ومهد لهم وسائل العيش فيها وسخر لهم فيها أيضاً وسائل الـراحة والمتاع، ولولا هذا التسخير والتمهيد ما قامت الحياة من أيام آدم عليه السلام إلى يومنا هذا على هذا الكوكب، وما كان لها أن تستمر إلى يوم القيامة لولا ثبات تسخيرها ومنافعها للناس إلى ذلك

---

(1) انظر: جامع الأحكام للقرطبي، (171/19)، (228/1)؛ والتفسير المنير للزحيلي، (123/25)،(27/ 42).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (104/8).

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (141/14)؛ وجامع الأحكام للقرطبي، (306/18)؛ وزاد المسير: لابن الجوزي، (42/4)؛ والمحرر الوجيز لابن عطية، (120/15).

اليوم حيث النفخ الأول في الصور الذي يترتب عليه اختلال نظامها ونظام السماوات وما بينهما .

المطلب الثاني : دوام صلاحها إلى يوم القيامة :

إن الله عز وجل جعل الأرض صالحة لحياة الإنسان وسخرها وما فيها من النعم إلى يوم القيامة ، وذلك قوله تعالى : ﴿**ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين**﴾(البقرة : 36) ، (الأعراف : 24).

أي لكم في الأرض موضع استقرار وإقامة، ومتاع ومنفعة ومعيشة إلى حين انقضاء آجالكم إلى يوم القيامة[1].

وهناك أدلة قرآنية تثبت بما لا شك فيه أن الأرض ستبقى صالحة للحياة إلى يوم القيامة بل وستستمر عليها الحياة البشرية إلى يوم القيامة وتفصيل ذلك كما يلي :

أولاً : خروج الدابة آخر الزمان :

قال الله تعالى: ﴿**وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون**﴾(النمل : 82).

في هذه الآية بيان لما يكون بين يدي الساعة أي وإذا قرب نزول العذاب وقيام الساعة، وحان وقت عذاب الكفار ﴿**أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم...**﴾ أي تخرج للكفار هذه الآية الكبيرة ﴿**دابة من الأرض**﴾ تكلم الناس وتناظرهم[2].

قال ابن كثير: "هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله، وتبديلهم الدين الحق، فتكلم الناس وتخاطبهم مخاطبة، قال ابن عباس وعطاء: تكلمهم كلاماً فتقول لهم: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون"[3].

ودابة الأرض آية من آيات الله تخرج في آخر الزمان، عندما يكثر الشر، ويعم الفساد، ويكون الخير قلة في ذلك الزمان، وإنها حيوان نَكِل عِلْم نوعه وشكله وهيئته إلى الله ﷻ، فيسم الكافر بوسم الكفر، ويطبع المؤمن بطابع الإيمان، وحينئذ لا تنفع نفساً إيمانها إن لم تكن قد آمنت من قبل[4].

---

(1) انظر: تفسير القرآن لعبد الله شحاتة، (م4/ج8/ص1451).

(2) انظر: صفوة التفاسير للصابوني، (419/2)؛ أيسر التفاسير: لأبي بكر الجزائري، (921).

(3) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (430/10).

(4) انظر: كبرى اليقينيات الكونية لمحمد سعيد البوطي، (335)، والقيامة الصغرى؛ د. عمر سليمان الأشقر، (286) .

وهذا إخبار القرآن عنها، بينما إخبار السنة، فتأكيد للذي أخبر عنه القرآن.

روى مسلم عن عبدا بن عمرو، قال: حفظت من رسول ا ﷺ حديثاً لم أنسه بعد، سمعت رسول ا ﷺ يقول: (إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى أيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً)(1).

فالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تثبت باليقين أن الحياة ستستمر على وجه الأرض إلى يوم القيامة ، وسيبقى الناس إلى يوم القيامة ، وستخرج عليهم الدابة ، ويترتب على هذا أن تبقى الأرض صالحة لحياة الناس إلى يوم القيامة .

ثانياً : نزول عيسى ﷺ :

ومما يدل أيضاً على استمرار الحياة وصلاحها على الأرض إلى يوم القيامة نزول عيسى على الأرض قبيل يوم القيامة.

وهو من أهم أشراط الساعة، ومن أخطر الأحداث التي تكون بين يديها، ومعنى نزوله، أن يهبط إلى الأرض، بعد احتجابه عنها كل تلك الفترة منذ رفعه سبحانه قبل ألفي سنة وإلى قبيل يوم القيامة .

والدليل على نزول عيسى آخر الزمان ثابت في القرآن والسنة ، أما دليل الكتاب فهاتان الآيتان:

الآية الأولى : قال تعالى : ﴿**وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته**﴾(النساء : 159).

والمعنى: لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى ﷺ إلا آمن به قبل موت عيسى ﷺ. فالضمير في ﴿**قبل موته**﴾ عائد، كما هو واضح من سياق الآيات السابقة لهذه الآية، إلى عيسى بن مريم، وهو نص على أنه عليه الصلاة والسلام لم يمت بعد(2).

قال ابن كثير بعد أن شرح الآية على هذا الوجه: "ولاشك أن هذا هو الصحيح؛ لأنه المقصود من سياق الآية في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلّم لهم من النصارى الجهلة بذلك. فأخبر ا أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك، ثم إنه رفعه إليه، وإنه باق حي، وأنه سينزل قبل يوم القيامة، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة، فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف، فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه

---

(1) صحيح مسلم م:ك 52 (الفتن وأشراط الساعة)، ب 23 (في خروج الدجال) 2260/4، ح (2941) .

(2) انظر: تحرير التنوير، م4/ج6/ص24.

يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم"[1].

الآية الثانية : قوله تعالى: ﴿**وإنه لعِلْم للساعةِ فلا تَمترُن بِها**﴾(الزخرف : 61).

والمعـنى: إن عيسـى بـن مريم لدليل على قيام الساعة، وإنما يكون كذلك بنزوله من السماء حكماً مقسطاً عادلاً[2].

وأما الأحاديث فكثيرة جداً ، يكتفي الباحثان في هذا المقام بذكر الحديث التالي :

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي ا عنه قال: قال رسول ا ﷺ (والذي نفسي بيده ليوشـكن أن يـنزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها، ثم يقول أبو هريـرة: واقـرؤوا إن شـئتم قوله تعالى: ﴿**وإن من أهل الكِتَابِ إلا ليؤْمِنَن بِهِ قبلَ موتِهِ ويوم القِيامةِ يكُون عليهم شهيدا**﴾(النساء : 159))[3].

فهـذه الأدلـة من خروج الدابة، ونزول عيسى ﵇ ، وظهور يأجوج ومأجوج، وإقامة العـدل في الأرض، وقيام الساعة على الناس يثبت باليقين أن هناك أناساً سيبقون أحياء إلى ذلك اليوم، وما داموا أحياء إلى ذلك الحين فمعناه أن عوامل صلاح حياتهم على الأرض مستمرة إلى يوم القيامة وإلا لانقرضوا قبل ذلك.

ثالثاً : خروج يأجوج ومأجوج :

ويـدل أيضـاً على استمرار الحياة ظهور يأجوج ومأجوج في آخر الزمان ، فقد أخبر القرآن عنهم ، وذلك قولـه تعالى : ﴿ **حتى إِذَا فُتِحتْ يأْجوج ومأْجوج وهم مِن كُل حدبٍ ينْسِلُون * واقْـترب الْوعد الْحق فَإِذَا هِي شاخِصةٌ أَبصار الَّذِين كَفَروا يا ويلَنَا قَد كُنا فِي غَفْلَةٍ مِن هذَا بلْ كُنا ظَالِمِين** ﴾ (سورة الأنبياء: 96- 97) .

وقو-له تعـالى : ﴿ **قَـالُوا يا ذَا الْقَرنَينِ إِن يأْجوج ومأْجوج مفْسِدون فِي الْأَرضِ فَهلْ نَجعـلُ لَـك خَرجاً علَى أَن تَجعلَ بينَنَا وبينَهم سداً * قَالَ ما مكَّني فِيهِ ربي خَير فَأَعِينُونِي بِقُوةٍ أَجعـلْ بيـنَكم وبيـنَهم ردمـاً** ﴾ (سورة الكهف: 94-95) إلى قوله تعالى : ﴿ **فَما اسطَاعوا أَن يظْهروه وما استَطَاعوا لَه نَقْباً * قَالَ هـذَا رحمةٌ مِن ربي فَإِذَا جاء وعد ربي جعلَه دكَّاء وكَان**

(1) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (344/4-345)

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (323/12)

(3) صحيح مسلم ، م:ك الإيمان، (71) ب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ ،(ح155)، (ص94) .

أحوال الأرض ونهايتها

وعد ربي حقّاً ﴾ (سورة الكهف: 97-98) .

ويأجوج ومأجوج أمتان كثيرتا العدد ، يفاجأ بهما العالم ، تتسلل إليه من كل حدب [1] ، تنشران الفساد والدمار في الأرض على نحو مذهل وبطريقة مرعبة وأن القرآن أخفى عن الناس ميعاد ظهورهم ، فلا يعلم أجل ذلك أحد إلا ا عز وجل وأنهما من ذرية آدم عليه السلام [2] كما ثبـت فـي الصحيح الذي روي عن حذيفة أنه قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلم : (أول الآيات : الدجال ونزول عيسى ، ونار تخرج من قعر عدن أبين ، تسوق الناس إلى المحشر تقيل معهـ ـم إذا قالوا ، والدخان ، والدابة ، ثم يأجوج ومأجوج" قال حذيفة : قلت : يا رسول ا وما يـأجوج ومأجوج ؟ قال : "يأجـوج ومأجـوج : أمم ، كل أمة أربع مئة ألف ، لا يموت الرجل منهم حتى يرى ألف عين تطرف بين يديه من صلبه ، وهم ولد آدم فيسيرون إلى خراب الدنيا ، يكون مقدمتهم بالشام وساقتهم بالعراق ، فيمرون بأنهار الدنيا ، فيشربون الفرات والدجلة وبحيرة الطبرية حتى يأتوا بيت المقدس) [3] .

ويحسـن بـنا أن نختم هذا المطلب بهذا الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة أن رسـول ا ﷺ قال : (... ولتقومـن السـاعة وقـد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها) [4] .

ويفهـم مما تقدم أن ا هو الذي خلق الأرض وسخرها للإنسان وجعلها صالحة لحياته إلى يوم القيامة ، وأنها ستبقى كذلك وستستمر عليها الحياة إلى يوم القيامة ، وأن ا هو الذي بدأ حـياة أهل الأرض عليها وهو وحده الذي سينهيها لا غيره ، وبناء على ذلك فلا الأسلحة الذرية ولا اتسـاع طبقـة الآزون ولا تقلـب المناخ العالمي ولا غير ذلك سيدمر الحياة على الأرض ، بل ا وحده سينهيها بيوم القيامة.

(1) حدب : ما ارتفع من الأرض (مختار الصحاح للرازي ، "125") .

(2) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، "190/9" .

(3) سـنن الـترمذي، ك 31 (الفتـن) ب 59 (بما جاء في فتنة الدجال)، ح (2240)، ص (506) حسن صحيح غريب .

(4) صحيح البخاري ، ك 92 (الفتن) ، ب 25 (...) 386/3 ، ح (7121) ، ط (مكتبة الصفا) .

المبحث الثاني
الابتلاء بالأرض

مدخل البحث:

إن هـناك أقواماً عذبوا بالأرض، أو على الأرض، وترك ا للناس آية من آثارهم لمن أراد مـنهم أن يعتـبر، كقـوم فرعون، وثمود، وعاد، ونوح... الخ، وقد حث القرآن الناس على السـير فـي الأرض والتفكر في الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾(آل عمران : 137) .

ومـنهم مـن عوقـب بالأرض؛ أي صارت الأرض أداة لتعذيبهم وإهلاكهم كقوم لوط، وكقارون، وكقوم شعيب ، وسيأتي الحديث عنهم مفصلاً.

المطلب الأول : قلب الأرض بقوم لوط :

أولاً : تعريف بلوط ﷺ وقومه :

لـوط هو ابن هاران بن آزر، وهو ابن أخ لإبراهيم الخليل عليهما السلام، وكان قد آمن مـع إبراهـيم ﷺ، وهاجر معه إلى أرض الشام فبعثه ا إلى أهل سدوم وما حولها من القرى يدعوهـم إلـى ا ﷻ، ويأمـرهم بالمعروف، وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم والمحارم والفواحـش التـي اخـترعوها"[1]. قال تعـالى: ﴿ **وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ** ﴾(الأنبياء : 71).

وقوم لوط ﷺ كانوا يرتكبون من المآثم والمحارم والفواحش التي اخترعوها والتي لم يسبقهم إليها أحد من البشر، إذ كانوا يأتون الرجال شهوة دون النساء وهذه جريمة لم يكن بنو آدم يألفونها أو يعرفونها من قبل، قال تعالى: ﴿**وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ**﴾(الأعراف : 80).

والجـرائم التـــي كان يقوم بها قوم لوط تتمثل في ثلاثة أشياء يمكن بيانها على النحو التالي:

ثانياً : جرائم قوم لوط :

أ- إتيان الرجال شهوة من دون النساء:

قال تعالى: ﴿**وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ**﴾(الأعراف : 80-81).

---

(1) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 345/6 .

أحوال الأرض ونهايتها

يبيـن الله ﷻ فعلـة القـوم المشينة الفاضحة، وما أصاب فطرتهم من انحراف وشذوذ جنسي، إذ يتركون النساء رغبة في الرجال، وقد أجاب القوم نبيهم عليه السلام برغبتهم في الفاحشة عن قصـد وعـناد، كما أخبر الحق تبارك وتعالى عنهم: ﴿**قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّـكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ**﴾(هود : 79)، فهم يسعون للفاحشة مخالفين الفطرة التي تهتدي إليها النفوس بطبيعتها، راغبين عن الاستقامة بكـل عـزم وإرادة، غير مكترثين بما يترتب على فاحشتهم من فـناء النسل وشقاء نفسي، فالراحة النفسـية تكـون فـي تلبية نداء الحكمة الربانية التي غرسها الله في النفوس[1].

فهـم كانوا يرتكبون أفظع وأغرب الجرائم ألا وهي جريمة اللواط التي تغضب الرب ، وتتـنافى مـع الفطـرة ، وتتسبب في العزوف عن الزواج ، وتؤدي إلى قطع النسل ، وتصيب أصحابها اللوطيين بالأمراض النفسية والجسدية ، وتنتج الزنا والسحاق بسبب عزوف الذكور عن الإناث مما يدفعهن لسبيل آخر لقضاء وطرهن كالزنا والسحاق.

ولذلك قال ﷺ : (**من وجدتموه يعمل عمل قوم لوطٍ فاقتلوا الفاعل والمفعول به**) [2] .

ب- قطع الطريق:

قـال تعـالى: ﴿**وَلُوطًـا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّـا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ**﴾ (العنكبوت : 28-30).

ففـي الآيـات الكريمة يبين لوط عليه السلام أن قومه أقاموا على ثلاثة أعمال فاحشة، يترتب عليها الفساد في الأرض، ذكر منها قطع الطريق؛ فقد كان القوم يتعرضون لأبناء السبيل، بأخذ المال، وقتلهم، أو بمساومتهم على الفاحشة حتى انقطعت الطرق وضاقت على الناس [3].

وقطـع الطـريق جريمة كبيرة رتب الله عز وجل عليها أشد العذاب في الدنيا والآخرة وتسـمى في الإسلام (الحرابة) قال تعالى : ﴿**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون**

---

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (1315/3).

(2) سنن أبي داود ، ك (الحدود) ب (فيمن عمـل عمـل قـوم لوط) 158/4 ، ح (4462) ، وسنن الترمذي ، ك 15 (الحدود) ، ب 24 (ما جاء في حد اللوطي 47/4 ، ح (1456) ، ط (دار الحديث).

(3) انظـر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبي سعيد البيضاوي، (314/4)، دار الفكر، 1416هـ-1996م.

فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَن يقَتلُوا أَو يصلبوا أَو تُقَطع أَيدِيهِم وَأَرجلُهم من خِلافٍ أَو ينْفَوا من الْأَرضِ ذَلِك لَهم خِزي فِي الدنْيا ولَهم فِي الْآخِرة عذَاب عظِيم ﴾(المائدة : 33).

ج- المجاهرة بالفواحش:

قـال تعـالى: ﴿... **وتَـأْتُون فِي نَادِيكُم الْمنكَر**...﴾ (العنكبوت : 28-30) أي تفعلون الفواحـش فـي مجالسكم، كالجماع والضراط وحل الإزار وغيرها من القبائح دون مبالاة بأحد، وقيل كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل قصعة فيها الحصى للخذف(*)، فإذا مر بهم عابر قذفوه، فأيهم أصابه كان أولى به، أي لفعل الفاحشة[1] .

والجهـر والمجاهرة بالمعاصي من أكبر الكبائر التي يعاقب الله عليها بأنواع من العقاب فـي الدنـيا والآخـرة ، قال ﷺ : (كل أمتى معافى إلا المجاهرين ، وإن من المجاهرة أن يعمل الـرجل وباللـيـل عمـلاً ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول : يا فلان عملتُ البارحة كذا وكذا وقد بات ستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه) [2] .

قـال ابـن بطـال فـيما نقله عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني : "في الجهر بالمعصية اسـتخفاف بحـق الله ورسوله وبصالحي المؤمنين ، وفيه ضرب من العناد لهم ، وفي الستر بها السـلامة من الاستخفاف لأن المعاصي تذل أهلها ، ومن إقامة الحد عليه إن كان فيه حد ، ومن الـتعزير إن لم يوجب حداً ، وإذا تمحض حق الله فهو أكرم الأكرمين ، ورحمته سبقت غضبه ، فلذلك إذا ستره في الدنيا لم يفضحه في الآخرة ، والذي يجاهر يفوته جميع ذلك" [3] .

ثالثاً : قلب الأرض بقوم لوط ورجمهم :

لقـد تمثلـت جريمة قوم لوط التي عجلت بهلاكهم في الخروج عن سنن الكون، وتغيير فطرة الله تعالى في سنة التزاوج، وفي ذلك قلب للمعايير الصحيحة وانتكاس عن الفطرة السليمة؛ فـأخذهم الله تعالى بعذاب من جنس فعلهم، فقلب قراهم على رؤوسهم، وجعل عاليها سافلها، وأما الحصـى التـي كانوا يحذفون بها ابن السبيل، ويقطعون الطريق على الناس، ويؤذونهم بفعلتهم

(*) الخذف بالخاء: يرمى الحصى الصغار بأطراف الأصابع، [انظر: لسان العرب: ابن منظور،(39/9).

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، (341/13-342).

(2) صحيح البخاري ، ك 78 (الأدب) ب 60 (سـتر المؤمـن علـى نفسـه) 151/3 ، 152 ، ح (6069) ، ط (مكتبة الصفا) ، وصحيح مسلم ، ك 53 (الزهد والرقائق) ب 8 (النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه) 2291/4 ، ح (2990) .

(3) فتح الباري لابن حجر العسقلاني 400/10 .

المـنكرة، قـد أمطروها حجارة من سجيل، وعجلهم بالعذاب، قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِـيَهَا سَـافِلَهَا وَأَمْطَـرْنَا عَلَـيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ**﴾(هود : 82-83).

كان إهلاك قوم لوط ما بين طلوع الفجر إلى شروق الشمس بقلب جبريل عليه السلام قرية قوم لـوط فقد اقتلعها بمن فيهـا من البشـر والحيوانات، وما يتبع هذه المدن من الأراضي والأماكن ثـم ارتفع بهـا حتـى علا عنان السماء، حتى لقد سمعت الملائكة صياح الديكة، ونباح الكلاب، ثم قلبها عليهم عقباً على رأس، من هذا العلو، فجعل عاليها سافلها[1].

ثم تلا ذلك مطر من الحجارة المتوالية والمسومة، وقد وصف الله الحجارة التي رمي بها قوم لوط بصفات ثلاث هي:

الأولى: كونها من سجيل، أي الشديد الكثير، أو الطين المتحجر.

الثانية: كونها ﴿**مَنْضُودٍ**﴾ أي متتابع، أو مصفوف بعضه على بعض، أو مرصوص.

الثالثة: ﴿**مُسَـوَّمَةً**﴾ أي معلمة من السيما وهي العلامة، أي كان عليها أمثال الخواتيم[2].

وهكـذا طويت صفحة القوم، وبقيت آثار قراهم المدمرة عبرة لكل ذي بصيرة، وردعاً لكل فاجر.

ولقـد ترك الله – عز وجل – في قرى قوم لوط الذين كفروا وأشركوا وارتكبوا اللواط وغـيره مـن الفواحش علامة ودلالة واضحة بينة ظاهرة تدل على العقاب والنكال الذي حل بهم بسبب إجرامهم .

وهـذه الآيـة تـركهـا الله للعاقلين الذيـن يخافـون عذابـه الشـديد الأليم لكي يعتـبروا ويـتعظـوا ويـنزجـروا عن تلـك الجرائم ، قال تعالى : ﴿ **وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَـافُونَ الْعَـذَابَ الْأَلِيـمَ** ﴾(الذاريات : 37)، وقال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ (العنكبوت : 35).

هذا وقد اختلف المفسرون في المراد من تلك الآية التي تركها الله عز وجل إلى أقوال :

1- هي نفس القرية الخربة التي وقع عليها العذاب ، وهو قول القرطبي والصابوني [3] .

---

(1) انظر: تفسير القرآن: ابن كثير، (459/7)، والجامع لأحكام القرآن : للقرطبي، (81/9)؛ وفتح القدير: للشوكاني، (636/2-638)؛ قصص الأنبياء: لابن كثير (316)، الآثار والتاريخ: للعبيدي، (74-80).

(2) انظر: تفسير المنير: الزحيلي 120/12، 121 .

(3) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي 45/9 ، ط (دار الحديث) .

2- هـي حجـارة السـجيل المنضـودة المسومة التي رجموا بها ، وهو قول ابن جريج وقتادة والمنصوري[1] .

3- هـي بحيـرة طبرية كما ذهب الزحيلي [2] .

4- هـي ماء أسـود منتن انشقت أرضهم وخرج منها ، ذكره الرازي عن البعض [3] . (قلنا) : وماء بحيرة طبرية ليس أسوداً مما يدل على أن هذا رأي آخر .

5- هي آثار العذاب في تلك القرى ، قال الشوكاني [4] .

6- هـي بحـيرة منتنة خبيثة لا ينتفع بماءها ، ولا بالأرض المتاخمة لها ، لردائتها ودنائتها [5] ويقصد بذلك البحر الميت ، ويسمى أيضاً بحيرة لوط .

الترجيح :

والـذي يرجحه الباحثان – وا أعلم – القولين الأخيرين ، فموقع ومكان هذه الآية هو موقع ومكان قرى قوم لوط لقوله تعالى : ﴿ وتَركْنَا فِيها ﴾ فالضمير في (فيها) عائد حسب سياق الآيـات إلـى القـرية أو القـرى ، قال تعالى في الآيات السابقة : ﴿ **فَأَخْرجنَا من كَان فِيها مِن الْمؤْمِنِيـن * فَمـا وجدنَا فِيها غَير بيتٍ مِن الْمسلِمِين * وتَركْنَا فِيها آيةً لِلَّذِين يخَافُون الْعذَاب الْأَلِيم** ﴾ (الذاريات : 35-37).

ويـرجح الباحثان أن الآية هي من ذات قرية قوم لوط لقوله تعالى : ﴿ **ولَقَد تَركْنَا مِنْها آيـةً بيـنَةً لِقَـومٍ يعقِلُون** ﴾(العنكبوت : 35)، أي : آثـار قريتهم المدمرة من المنازل والبيوت والآبار ... الخ ويستلزم ذلك حجارة السجيل المنضودة المسومة التي رجموا بها ، وا أعلم .

وهذه الآية تشمل أيضاً البحر الميت ويسمى أيضاً بحيرة لوط ، وأهم صفاته كما تعرف عليها الباحث عندما زاره كما يلي :

1- أنه يقع في أعمق منخفض أرضي عن سطح البحر في العالم مما يشي بأنه منطقة خسف .

2- أن مياهه شديدة الملوحة ومرة .

---

(1) انظر: الدر المنثور ، للسيوطي 620/7 ، 462/6 ، المقتطف من عيون التفاسير للمنصوري 91/5 .

(2) انظر : التفسير المنير ، للزحيلي 30/27 ، 31 .

(3) التفسير الكبير ، للرازي 181/10 .

(4) انظر : فتح القدير ، للشوكاني 89/5 .

(5) انظر : قصص الأنبياء لابن كثير ، ص 165 ، ط : (دار العقيدة) ، و تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير 236/4 .

3- أنه لا حياة فيه للأسماك والأحياء البحرية الأخرى ، ولذلك سمي بهذا الاسم .

4- مياهه كثيفة جداً ، ولذلك يطفو فيه الإنسان ولا يغرق .

5- إذا أصابت مياهه عين الإنسان فإنه يشعر بحرق وألم شديد .

فهـذه الصفات التي انفرد وتميز بها البحر الميت إضافة إلى قربه الشديد من قرى قوم لوط توحي لنا بأنه مكان عذاب وخسف وأنه آية من الله تذكرنا بما حل بقوم لوط .

وممـا يجدر ذكره أن البحر الميت وموقع القرى المدمرة وآثارها مكان سخط وغضب وعـذاب وعقـاب ولـيس مكان سياحة وتنزه ، ولذلك نتعامل معه على هذا الأساس ، لما روى البخاري ومسـلم عن ابن عمـر قال : لما مر النبي ﷺ بالحجر "ديار ثمود قوم صالح" قال : (**لا تدخلـوا مسـاكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين**) ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي) [1] .

وبذلك يتضح لنا أن الأرض المباركة التي باركها الله ، والتي كانت مستقراً وأمناً ونعمة من الله على القوم والتي كانت تفيض عليهم بالخيرات الوفيرة والمياه العذبة ومن حجارتها يبنون عليها بيوتهم ، وعلى ترابها يزرعون بساتينهم ومن خيراتها يأكلون ويشربون ، فكانت لهم كالأم الرؤوم الحنون وأكثر .

هـذه الأرض التـي لم يشكر القوم الله عليها بالإيمان والطاعة واتباع لوط ودعوته ، وترك الكفر والشـرك والفسـق والفسـاد خاصـة اللواط وقطـع الطريـق والمجاهرة بالفجور والمعاصي .

هـذه الأرض حولهـا الله – عز وجل – إلى أداة لتعذيبهم وإهلاكهم عن آخرهم فقلبها علـيهم وجعـل عاليها سافلها ، وسافلها عاليها عقاباً لهم على كفرهم وشركهم ، وأتبعهم برجمهم بحجـارة مـن سجيل عقاباً لهم على جريمة اللواط التي ما ارتكبها أحد من قبلهم ، وبذلك حولت الأرض من نعمة لهم إلى نقمة عليهم !

ولذلـك لا تحـدث جريمـة لواط في العالم إلا أن على قوم لوط كفل منها لأنهم أول مـن سن اللواط ، لقوله ﷺ : (**لا تقتـل نفـس ظلمـاً إلا كـان على ابـن آدم الأول كفـلٌ من**

---

(1) صحيح البخاري ، ك 64 (المغازي) ب 80 (نزول النبي ﷺ الحجر) 374/2 ، ح (4419) ، ط (مكتبة الصفا) ، وصحيح مسلم ، ك 53 (الزهد والرقائق) ب 1 (لا تدخلوا مساكن ...) 2285/4 ، ح (2980) .

دمها ، لأنه كان أول من سن القتل) [1] .

فهـذه الأرض جـندي مـن جنود الله يسلطه الله على من يشاء وقت يشاء عبر الزمن فتصـيـر بقـدر الله أداة للتعذيـب والإهلاك ، بالقلب وبالخسف والزلازل وبالبراكين ... الخ ، وما زلزال التسونامي عنا ببعيد !! قال تعالى : ﴿ **وما يعلم جنُود ربك إلا هو** ﴾ (المدثر : 31) .

المطلب الثاني : رجف الأرض بقوم شعيب :

أولاً : تعريف بشعيب ﷺ وقومه :

أرسل الله جل ثناؤه عبده ونبيه شعيب ﷺ إلى قبيلة مدين العربية التي كانت تعبد الأصنام والأوثان ، وكانت تسكن بين الحجاز والشام قرب معان ، وسميت مدين بذلك لأنهم بنو مدين ابن إبراهيم ﷺ ، أو نسبة لاسم مدينتهم ، وشعيب ﷺ أخوهم في النسب .

قـال تعالـى : ﴿ **وإلى مدين أخَاهم شعُيباً قالَ يا قوم اعبدوا الله ما لكُم من إلهٍ غَيره ولا تنقُصـوا المكْـيالَ والميزان إني أَراكُم بِخَير وإني أخَافُ عليكُم عذَاب يومٍ محيطٍ * ويا قوم أَوفُـوا المكْـيالَ والميزان بِالقِسطِ ولا تَبخَسوا الناس أشْياءهم ولا تَعثَوا فِي الأرض مفْسِدِين * بقيةُ اللهِ خَير لكُم إن كُنتُم مؤْمِنِين وما أَنَا عليكُم بِحفِيظٍ** ﴾ (هود : 84-86).

ثانياً : جرائم قوم شعيب :

وتتلخص الجرائم التي ارتكبها قوم شعيب – من خلال الآيات السابقة - بما يلي :

1- الكفـر والشـرك وعبادة الأصنام والأوثان .

2- الإنقـاص فـي المكيال والميزان ، وقد اشتهروا بتطفيف الكيل والميزان ، إذا اشتروا أخذوا بكيل زائد وميزان زائد ، وإذا باعوا باعوا بكيل ناقص وميزان ناقص .

3- الإفساد في الأرض ، حيث كانوا يقطعون الطريق .

رفض أهل مدين قبول دعوة نبيهم وأخيهم شعيب ﷺ ، وذلـك قولـه تعالـى عنهم :

﴿ **قَـالُوا يـا شعيب أَصلاتُك تأْمرك أَن نَترك ما يعبد آباؤُنَا أَو أَن نَفْعلَ فِي أَموالِنَا ما نَشَاء إنك لَأَنْتَ الْحلِيم الرشِيد** ﴾ (هود : 87).

ثالثاً : إهلاك قوم شعيب بالرجفة وغيرها :

ومضـى قـوم شـعيب في غيهم وتكذيبهم وجحودهم وإصرارهم وعنادهم على باطلهم وعلى جرائمهم رغم الآيات والحجج الباهرات ، واستمروا على ذلك حتى أنزل الله بهم عقابه .

قـال تعالـى : ﴿ **وإلى مدين أخَاهم شعُيباً فقالَ يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخِر**

---

(1) صحيح مسلم ، ك 28 (القسامة) ب7 (بيان إثم من سن القتل) 1303/3 ، ح (1677) .

ولا تعثوا في الأرض مفسدين * فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾ (العنكبوت : 36-37) .

وقال تعالى : ﴿ **ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين** ﴾ (هود : 94).

قال الشوكاني : "﴿ **فأخذتهم الرجفة** ﴾ أي : الزلزلة ، وتقدم في سورة هود : ﴿ **وأخذت الذين ظلموا الصيحة** ﴾ أي : صيحة جبريل وهي سبب الرجفة ﴿ **فأصبحوا في ديارهم جاثمين** ﴾ أي : أصبحوا في بلادهم أو منازلهم جاثمين على الركب ميتين" [1] .

وقال تعالى :﴿ **فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم**﴾(الشعراء : 189).

نلاحظ من الآيات الكريمة أن الله تعالى جمع عليهم ثلاثة عذابات وهي :

1- **الصيحة :** أي : صاح بهم جبريل ﷺ صيحة العذاب والهلاك .

2- **الرجفة :** أي : رجفت واهتزت وتزلزلت الأرض بهم .

3- **الظلة :** "قال المفسرون : بعث الله عليهم حراً شديداً فأخذ بأنفاسهم ، فخرجوا من البيوت هرباً إلى البرية ، فبعث الله عليهم سحابة أظلتهم من الشمس ، فوجدوا لها برداً ونادى بعضهم بعضاً حتى إذا اجتمعوا تحتها أرسل الله عليهم ناراً فاحترقوا جميعاً" [2] .

ويمكن ترتيب الأحداث والله أعلم كما يلي :

لما حان وقت وموعد إهلاكهم خرجوا من بيوتهم من شدة الحر إلى ظل الغيمة التي ابتلاهم الله بها ، فصاح بهم جبريل ﷺ ، فرجفت الأرض من صيحة جبريل ، فأنزل الله عليهم الغيمة ناراً ، فاجتمعت عليهم ثلاثة أسباب للموت ، واحدة منها تكفي لموتهم .

قال ابن كثير : "وذكر ههنا أنه أتتهم صيحة ، وفي الأعراف رجفة وفي الشعراء عذاب يوم الظلة وهم أمة واحدة اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النقم كلها ، وإنما ذكر في كل سياق ما يناسبه ، ففي الأعراف لما قالوا ﴿ **لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا** ﴾ (الأعراف : 88) ناسب أن يذكر هناك الرجفة فرجفت بهم الأرض التي ظلموا بها وأرادوا إخراج نبيهم منها ، وههنا لما أساءوا الأدب في مقالتهم على نبيهم ذكر الصيحة التي استلبثتهم وأخمدتهم وفي الشعراء لما قالوا ﴿ **فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين**﴾(الشعراء : 187) قال:﴿ **فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم** ﴾(الشعراء : 189) وهذا من الأسرار

---

(1) فتح القدير ، للشوكاني 202/2 ، ط (دار المعرفة) .

(2) صفوة التفاسير ، للصابوني 393/2 .

الدقيقة و الحمد والمنة كثيراً دائماً" [1] .

وبذلك يتضح لنا أن الأرض التي سكنوا عليها واستقروا واطمأنوا بها تحولت إلى أداة لهلاكهم وإلى سببٍ لموتهم ومحقهم جزاء وفاقاً وا أعلم .

المطلب الثالث : خسف الأرض بقارون :

أولاً : تعريف بموسى ﷺ وبقارون :

قـيل إن قارون هو ابن عم موسى ﷺ، فهو قارون بن يصهر بن قاهث، وموسى ﷺ ابـن عمران بن قاهث، وقيل هو عم موسى ﷺ فهو قارون بن يصهر، وموسى بن عمران بن يصهر، وقد رجح الطبري رحمه ا الرأي الأول[2]. وعلى أية حال فهو من بني إسرائيل.

ثانياً : جرائم قارون :

لقـد وصف ا تعالى حال قارون وجرائمه وفساده في قوله : ﴿**إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين * وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسـن كمـا أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين * قال إنما أوتيـته علـى علـم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكـثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون * فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحـياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم * وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون**﴾(القصص : 76-80) .

وقد تمثل فساد قارون أيضاً بالكبر والخيلاء والتعالي على الناس، قال تعالى: ﴿**وقارون وفـرعون وهامـان ولقـد جـاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين**﴾ (العنكبوت : 39).

ولقـــد تجـــاوز الحد؛ حيـث إنه قـذف موسـى ﷺ بالكذب والسحر، قال تعالى: ﴿**ولقـد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين * إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب**﴾ (هـود : 96-97)، ولم ينته قارون عند هذا الحد من الفساد، بل تمادى في فساده وظلمه وبغيه، فعـزم أن يقـذف موسى ﷺ في عرضه؛ فعن ابن عباس رضي ا عنهما أنه "لما أتى موسى قومـه، أمـرهم بالـزكاة، فجمعهم قارون فقال لهم: جاءكم بالصلاة وجاءكم بأشياء فاحتملتموها

(1) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير 458/2 ، ط (دار المعرفة) .

(2) انظر: جامع البيان ، للطبري، (99/10).

فتحملوا أن تعطوه أموالكم؟ فقالوا: لا نحتمل أن نعطيه أموالنا، فما ترى؟ فقال لهم: أرى أن أرسل إلى بغي بني إسرائيل فنرسلها إليه فترميه بأنه أرادها على نفسه، فدعا موسى عليهم..."[1].

وقـد ذكـر المفسرون[2] هذا الحديث بطوله في تفسير قوله تعالى: ﴿**فَخَسَفْنَا بِهِ وبِدارِهِ الأرض فما كان له مِن فِئَةٍ ينصرونَه مِن دون اللهِ وما كان مِن المنتَصِرِين**﴾(القصص : 81).

يمكن من خلال الآيات الكريمة السابقة ورواية ابن عباس تلخيص الموبقات التي ارتكبها قارون والتي كانت سبباً في هلاكه بما يلي :

1- اتهامه موسى عليه السلام بالكذب والسحر ، وهذا كفر منه .

2- المبالغة في الفرح ، وا لا يحب الفرحين .

3- الفساد في الأرض ، وا لا يحب المفسدين .

4- إنكار نعمة ا عليه ونسبها إلى علمه الذي يزعمه ، وهذا هو كفران النعمة .

5- البغـي والتكبر والتفاخر والتطاول على الناس مستغلاً في ذلك ما آتاه ا من مال ، وقد قال تعالى : ﴿ **ولا تُصعر خَدَكَ لِلناس ولا تَمش فِي الأرض مرحاً إن الله لا يحِب كُل مخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ (لقمـان : 18) ، وقـال تعالى : ﴿ **ولا تَمش فِي الأرض مرحاً إنك لن تَخْرِقَ الأرض ولن تَبلُغَ الْجِبالَ طُولاً** ﴾(الإسراء : 37).

6- إفكه وافترائه بقذف موسى عليه السلام بالفحشاء .

فخطيئة واحدة من هذه الخطايا تكفي لإنزال عقاب ا عليها ، فكيف إذا اجتمعت !؟

ثالثاً : خسف الأرض بقارون :

قـال تعالـى: ﴿**فَخَسفْنَا بِهِ وبِدارِهِ الأرض فما كان له مِن فِئَةٍ ينصرونَه مِن دون اللهِ وما كان مِن المنتَصِرِين**﴾(القصص : 81).

أ- معنى الخسف :

1- الخسف في اللغة العربية:

لـه معـان كثيرة منها الغور، والتغييب، والنقصان، والظلم والذلة، والخسف تأتي خسفاً وخسوفاً: غارت بما عليهـا، ويقال: خسـف ا بهم الأرض، أي غيبهـم، وخسـف الأرض

---

(1) المستدرك للحاكم النيسابوري، ك (التفسير)، ب (تفسير سورة القصص)، 408/2 ، 409 ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(2) انظر: جامع البيان للطبري، (110/10)؛ تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (486).

يعنـي غورها أي: أسفلها أو انخفاضها أو هبوطها[1].

2- الخسف في القرآن الكريم:

لقـد ورد لفـظ خسف في القرآن ثماني مرات[2]، وله معنيان، (أحدهما): ذهاب ضوء القمـر، قـال تعالى: ﴿ **وخَسَفَ الْقَمر** ﴾(القيامة : 8)، والمعنى أي : "أظلم وذهب ضوؤه" [3] ، (وثانـيهمـا) : جعـل الأرض تغـور بالظالـم وتغيبـه فيهـا[4]، وبهذا المعنى قال تعالى : ﴿... **ومِنْهم من خَسفْنَا بِهِ الأرض**﴾(العنكبوت : 40).

3- الخسف في علم الجيولوجيا:

هـبوط جزء من الأرض بالنسبة للجزء الآخر فجأة وذلك على طول خط انكسار محدد بفعل عوامل التعرية الطبيعية، وهذا يتسبب في انخفاضها[5].

ب- خسف الأرض بقارون :

يأتـي الخسف بمعنى غور الأرض أي هبوطها وانخفاضها ، وبهذا الغور (أي الخسف) عوقب قارون بسبب فساده وتجاوزه للحد، ولم يكن خسفه مرة واحدة، وإنما تم خسفه على مراحل كمـا ذكـر المفسـرون في تفسير قوله تعالى: ﴿**فَخَسفْنَا بِهِ وبِدارِهِ الأرض فما كان له من فِئَةٍ ينصرونَه من دون اللهِ وما كان من المنتَصِرين**﴾(القصص : 81).

وقد ذكرنا - فيما سبق- حديث المرأة الباغية التي ادعت أن موسى ﷺ أرادها لنفسه، وفـيه : "فلما علم موسى بهذا الأمر، صلى ركعتين، وأقبل على هذه المرأة واستحلفها من حملك علـى ذلك، فذكرت أن قارون هو الذي حملها... فعند ذلك خر موسى ﷺ ساجداً ودعا ا على قـارون فأوحى ا إليـه: أن يأمر الأرض بما شاء، فقال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى أقدامهم، ثم قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى ركبهم، ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى أعناقهم، فإنهم تضرعوا إلى موسى، ولكـن موسى لـم يغفـر لهـم، فقـال: يا أرض خذيهـم، فأطبقت عليهم

(1) انظر: معجم الوجيز، (196)؛ ومعجم الوسيط، (234/1).

(2) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن لعبد الباقي، (285-286).

(3) تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي ،./773 .

(4) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، (282).

(5) انظر: خلق الأرض والسموات: علي السكري، (22-24). بتصرف واختصار.

الأرض[1].

فقـارون بعد أن كان يتنقل على ظهـر الأرض فرحاً بطراً أشراً مختالاً فخوراً متنعماً بخيراتها ، مغتنياً من كنوزها ، جاحداً فضل ا عليه ، خسف ا به الأرض، وطمس على ماله وداره فهو يتجلجل وماله وبيته في الأرض إلى يوم القيامة، قال ﷺ: (بينما رجل يمشي قد أعجبته جمته وبرداه إذ خُسِفَ به الأرض فهو يتجلجل في الأرض حتى تقوم الساعة)[2].

فقـارون أحـق بهذا العذاب الوارد في الحديث لأنه أشد سوءاً من الرجل المذكور في الحديث. وا أعلم.

وبذلـك يتضـح لـنا أن الأرض التي اغتنى قارون من كنوزها ، وأكل من خيراتها ، وتبخـتر بخيله وكنوزه على ظهرها ... الخ قد حولها ا إلى عذاب ، وعقاب خسف به وبكنوزه الأرض ، وذلـك قولـه تعالى : ﴿ **فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ** ﴾(القصص : 81) .

وهـذا الـذي حدث لقارون قد يحدث لأي إنسان يفعل فعل قارون أو ما يشبهه أو يزيد علـيه ، لمـا روت عائشـة قالت : قال رسول ا ﷺ : (يغزو جيشٌ الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسـف بأولهم وآخرهم) قالت : قلت : يا رسول ا كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم ؟ قال : (يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم) [3] .

المبحث الثالث

أحوال الأرض يوم القيامة ووراثة ا لها

المطلب الأول : أحوال الأرض يوم القيامة :

كمـا نـبه القـرآن إلى ثروات الأرض وزينتها وجمالها، كذلك نبه إلى أن الحياة عليها مؤقـتة، وأن زينتها زائلة، ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾(الرحمن : 26). وأنه عندما تقوم الساعة تحدث

---

(1) تقدم تخريجه من المستدرك للحاكم ، وانظر: جامع البيان: الطبري، (110/10)؛ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، (486/10).

(2) صحيح مسلم ، ك 37 (اللباس والزينة) ، (10) ب (تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه) 3/ 1653 ، ح (2088) .

(3) صحيـح البخـاري ، ك 34 (البـيـوع) ، ب 49 (ما ذكر في الأسـواق) 462/1 ، ح (2118) ، ط(مكتبة الصفا) وصحيح مسـلم ، ك 52 (الفتن وأشراط الساعة) ب 2 (الخسف بالجيش ...) 4/ 2210 ، ح (2884) .

في الأرض تغيرات هائلة تبدل نظامها منها : أنها ترج، وتدك، وتزلزل، وترجف وتخرج ما في جوفها ويتغير شكلها وتشهد بما فُعل عليها ... الخ .

وتفصيل ذلك كما يلي :

أولاً: جمعها الأحياء والأموات :

أ- جمعها الأحياء والأموات في الدنيا :

دائماً علينا أن نحمد ا ﷻ خالق هذه الأرض، لما يعود علينا منها من منافع كثيرة جداً، سـواء أكـنا أحـياء علـى ظهرها ، أو أمواتاً في بطنها فإنها تجمعنا وتضمنا في حضنها كالأم الحـنـون علـى طفلهـا؛ حيـث قـال تعالـى: ﴿ **أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا**﴾ (المرسلات : 25-26).

أي ألـم نجعـل هذه الأرض التي تعيشون عليها كالأم لكم، تجمع الأحياء على ظهرها، والأموات في بطنها؟

قـال المفسـرون: الكفت: الجمع والضم[1] فإن الأرض تجمع وتضم إليها جميع البشر، فهـي كـالأم لهم، فالأحياء يسكنون في منازلهم؛ والأموات يسكنون في بطنها في القبور ﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى**﴾(طه : 55).

فهـذه حقيقة من الحقائق الثابتة، وسنة من سنن الكون الإلهية التي لا تتبدل ولا تتغير، وأيـة باهرة دالة على قدرة ا ؛ فإن أبانا آدم خلق من الأرض التي أصبحت موطن سكننا، ودار حياتـنا مـنذ أن هـبط آدم عليها، فعليها نعيش وفيها تقضي آجالنا، وعليها تقبض أرواحنا، وفي باطنها تقبر وتوارى أجسامنا، ومنها نخرج عند بعثنا[2].

وقال الشعبي: بطنها لأمواتكم، وظهرها لأحيائكم[3].

﴿**أَحـيَاءً وَأَمْوَاتًـا**﴾: جاءت نكرة لأنه تكفت أحياء لا يعدون وأمواتاً لا يحصون، وتدل على أن أحيـاء الإنس وأمواتهم ليسوا بجميع الأحياء والأموات وهناك أيضاً الحيوانات[4] ، وكذا الجان .

---

(1) انظر: الأساس في التفسير لسعيد حوى، (6322/11) ، والكشاف: للزمخشري، (666/4)؛ وأيسر التفاسير: للجزائري، (1435).

(2) انظر: تفسير القرآن: لعبدا شحاتة، (م8/ج3169/16-3170).

(3) انظر: الأساس: لسعيد حوى، (6322/11) ، وفي رحاب التفسير: لعبد الحميد كشك، (7818/9).

(4) انظر: الكشاف: للزمخشري، (666/4) ، ومدارك التنزيل: للنسفي، (473/4).

أحوال الأرض ونهايتها

وجمع الأرض للأحياء والأموات مستمر من أيام آدم عليه السلام وقبله وإلى يوم القيامة ، وهذا من المعلوم من الدين بالضرورة ، ومما لا خلاف فيه بين الناس .

ب- جمعها الأموات بعد النفخ الأول :

بعد أن يأمر ا - عز وجل – الملك إسرافيل عليه السلام بالنفخ الأول في الصور فينفخ فيه ، فعندها يهلك جميع الناس والجن والحيوانات على وجه الأرض ، وبذلك تجمع الأرض وتضم في طـياتها وفـي بطـنها وعلى ظهرها جميع أحيائها أمواتاً لا حي فيهم ، قال تعالى : ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصور فَصعِقَ من فِي السماواتِ ومن فِي الأَرض إلا من شَاء الله** ...﴾(الزمر : 68).

والمعـنى : "(ونفـخ في الصور) هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل ، وهذه النفخة نفخة الصـعق وهو الموت ، وقد قيل : إن قبلها نفخة الفزع ، ولم تذكر في هذه الآية (إلا ما شاء ا) قـيـل : يعنـي جـبريـل وإسرافيل وميكائيل وملك الموت ، وقيل : وحملة العرش معهم ، ثم يميتهم ا بعد ذلك ، وقيل استثناء الأنبياء ، وقيل الشهداء" [1] .

والذي يرجحـه الباحثان أن جميـع ذريـة آدم يموتـون بالنفـخ الأول ، وإن استثني مـنهـم الـبعض فـإنهـم يموتـون بعـد ذلـك ، بدليـل قوله تعالى : ﴿ **كُلّ شَيءٍ هالِك إلا وجهـه** ﴾(القصـص : 88)، وقولـه : ﴿ **كُـل من عليهـا فَـانٍ * ويبقَـى وجه ربك ذُو الْجلال والْإِكْرامِ** ﴾(الرحمن : 26-27) .

وممـا يعزز ذلك قوله ﷺ : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مشفع) [2] .

فالحديث يدل على أن أكرم مخلوق على ا سبحانه رسوله محمد ﷺ يكون ميتاً في قبره ثـم ينشق عنه قبره أول الناس بعد النفخ الثاني في الصور مما يدل على موته ، وموت من دونه من ذرية آدم قبل النفخ الثاني من باب أولى وا أعلم .

ج- جمعها الأحياء بعد النفخ الثاني :

يمكـث الناس أمواتاً بعد النفخ الأول في الصور في الأرض أربعين يوماً أو أسبوعاً أو شهراً أو سنة أو غير ذلك بدليل ما رواه مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول ا ﷺ : (ما بين النفختيـن أربعـون) قالوا : يا أبا هريرة ! أربعين يوماً ؟ قال : أبيت قالوا أربعين شهراً ؟ قال : أبيت . قالوا : أربعون سنة ؟ قال : أبيت . (ثم ينزل ا من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل)

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل ، للكلبي 199/3 ، وانظر : فتح القدير للشوكاني 747/4 ، ط (دار الفكر) .

(2) صحيح مسلم ، ك 43 (الفضائل) ، ب (تفضيل نبينا ...) 1782/4 ، ح (2278) .

قال : (وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة) [1] .

بعـد الـنفخ الثاني في الصور وهو البوق والناقور تعود الأرواح إلى أجسادها ، ويحيا الـناس ، ويخرجون من قبورهم ويقومون رب العالمين للحساب ، قال تعالى : ﴿ **ثُم نُفِخَ فِيهِ أُخْرى فَإِذَا هم قِيام ينْظُرون** ﴾ (الزمر : 68).

"(**ثُم نُفِخَ فِيهِ أُخْرى**) هي نفخة القيام (قيام ينظرون) قيل : إنه من النظر ، وقيل : من الانتظار ، أي : ينتظرون ما يفعل بهم" [2] .

وبذلـك جمع ا على الأرض جميع الناس أحياء على ظهرها للمرة الثانية (في الأولى) فـي الحـياة الدنيا ، (والثانية) : بعد النفخ الثاني في الصور ، ولذلك جاء سياق الآيات بعد الآية السابقة : ﴿ **وأَشْرقَتِ الْأَرض بِنُور ربها** ... ﴾(الزمر : 69) .

ثانياً: تغير صفة الأرض :

عـندما تقـوم القيامة يختل نظام الأرض ويتبدل ويتغير حالها وحال ما عليها من أحياء وأموات وجمادات ... الخ وتفصيل ذلك كما يلي :

أ- موت أحيائها :

بعـد النفخ الأول في الصور يصعق كل ذي روح على وجه الأرض من الإنس والجن والحـيوان ، وهـؤلاء هـ ـم سـكان الأرض ، كما يصعق سكان السماوات من الملائكة إلا ما استثناهم ا كما تقدم في النقطة الماضية .

قـال تعالى : ﴿ **ونُفِخَ فِـي الصـور فَصعِـقَ من فِـي السماواتِ ومن فِي الْأَرضِ إِلَّا من شَاء الله** ... ﴾(الزمر : 68).

ذهـ ـب المفسـ ـرون إلـى أن جميع الخلائق على الأرض تموت بعد النفخ الأول في الصـور [3] ، وقـال الواحـدي : "قال المفسرون مات من الفزع وشدة الصوت أهل السماوات

---

(1) صحيح مسـلم ، ك 52 (الفتـن وأشـراط السـاعة) ، ب 28 (ما بيـن النفختيـن) 2270/4 ، 2271 ، ح (2955) .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي 199/3 ، وانظر : تفسير الجلالين للمحلي والسيوطي / 67 .

(3) انظر : تفسير الجلالين ، للمحلي والسيوطي / 616 ، وصفوة التفاسير للصابوني 88/3 ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير 63/4 ، ط (دار المعرفة) .

والأرض" [1] .

فسكان الأرض وعمارها من الإنس والجن والحيوان الله الذي خلقهم وأنشأهم وابتدأ حياتهم على الأرض ، والله أنهاها يوم القيامة فسبحان المحيي والمميت المتفرد في ذلك .

ب- إشتعال بحارها :

بين يدي النفخ الأول للصور على قول ، أو بعد النفخ الأول للصور تحدث تغيرات هائلة للبحار من تفجيرها وإشعالها ، قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ** ﴾(الانفطار : 3).

اختلاف العلماء في المراد من التفجير في الآية إلى أقوال :

1- فتح بعضها إلى بعض ، فاختلط عذبها بمالحها ، وصارت بحراً واحداً .

2- ذهب ماؤها وفرغت منه وصارت يابسة .

3- ملئت نيراناً لتعذيب أهل النار [2] .

وقال تعالى : ﴿ **وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ** ﴾(التكوير : 6)، أي : وإذا البحار - من أهوال وشدائد وكوارث يوم القيامة – أوقدت وأشعلت وأضرمت ناراً ، فصارت نيراناً تشتعل وتضرم وتلتهب [3] .

ويرى الباحثان أن هناك ترابط وثيق بين معاني تفجير البحار الثلاثة السابقة ، وبين معنى إشعال البحار في هذه الآية .

أولاً : تُفجر البحار فيختلط بعضها ببعض ملحها بملحها وبحلوها ، وحلوها بمالحها وبحلوها ، بحيث تصير بحراً واحداً عظيماً .

وثانياً : تضرم فيها النيران فتشتعل بعدها ومنها نيران عظيمة ... لا يعلم كنهها إلا الله عز وجل .

وثالثهما: أن البحار تجف وتيبس وتتحول إلى قيعان خالية من الماء ، إما لتبخره بفعل حرارة النيران ، أو بتحوله إلى وقود يكون مادة اشتعال النيران كفصل الهيدروجين عن الأكسجين من

---

(1) تفسير القدير للشوكاني 475/4 .

(2) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير 481/5 ، ط (دار المعرفة) ، والتسهيل لعلوم التنزيل للكلبي 4 /180 وفتح القدير للشوكاني 395/5 ، ط (دار الفكر) ، وصفوة التفاسير للصابوني 528/3 .

(3) انظر : تفسير الجلالين للمحلي والسيوطي / 786 ، وفتح القدير للشوكاني 388/5 ، ط (دار الفكر) ، وصفوة التفاسير للصابوني 524/3 .

تركيب عناصر الماء ، وا أعلم .

ومـا ذلك على ا بعزيز ، حيث يقول : ﴿ **فاتقُوا النار التِي وقُودها الناس والْحِجارةُ أُعِدتْ لِلْكافِرِين** ﴾(البقرة : 24).

ولكن بقي أن نتساءل عن حجم هذا الدمار ، وهذا الخراب من هذه النيران العظيمة غير المتصورة ، وارتفاع درجة الحرارة على وجه الأرض ، واحتراق الأكسجين في الجو ... الخ .

إن هذا المر لتقشعر منه الأبدان ، وتنفطر منه القلوب ، ويشيب له الناس ... الخ .

وهـذا الأمر وحده يؤدي إلى خراب الأرض ودمارها واختلال نظامها وانعدام صلاحها للحياة بعد ذلك .

ج- زوال جبالها :

لقـد ورد ذكر الجبال في آيات قرآنية تتعلق بالقيامة وأشراطها، ويتضح من هذه الآيات أن مصير الجبال يتفق مع الأحداث الكونية الأخرى يوم القيامة ،وتفصيل مصير الجبال كما يلي:

1- رجف الجبال ودكها وبسها :

إن الجبال يوم القيامة عندما تتغير تصير رملاً مهيلاً، ثم عهناً منفوشاً، ثم هباء منثوراً ، قـال تعـالـى : ﴿ **فَـإِذَا نُفِخَ فِي الصـور نَفْخَـةٌ واحِدةٌ * وحمِلَتِ الْأرض والْجِبالُ فَدكتَا دكةً واحِدةً** ﴾(الحاقة : 13-14) .

أي : إذا نفـخ فـي الصـور النفخة الأولى على قول والنفخة الثانية على قول آخر ، ورفعـت الأرض والجبال فدكتا ودقتا دكة ودقة واحدة ، وذلك بضرب بعضها ببعض حتى تندق وقال الزمخشري : الدك أبلغ من الدق [1] .

وقال تعالى: ﴿**يوم ترجفُ الْأرض والْجِبالُ وكانَتِ الْجِبالُ كَثِيبا مهِيلاً**﴾(المزمل : 14).

الرجف: الزلزلة والزعزعة الشديدة[2].

الكثيب: الرمل المجتمع من كثب الشيء إذا جمعه[3].

المهـيل: الـرمل الـذي يمر فتح الأرجل. قال الضحاك والكلبي: المهيل: هو الذي إذا وطئته بالقدم زل من تحتها [4].

---

(1) انظر : التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي 134/4 ، وتفسير الجلالين للمحلي والسيوطي 756/ .

(2) انظر: الكشاف: للزمخشري، (628/4).

(3) المرجع نفسه.

(4) انظر: جامع الأحكام: للقرطبي، (47/19).

أحوال الأرض ونهايتها

أي يوم تتزلزل الأرض وتهتز بمن عليها اهتزازاً عنيفاً شديداً هي وسائر الجبال، وذلك يوم القيامـة، فإن الجبـال تصبح على صلابتها تلاً من الرمل سائلاً متناثراً، بعد أن كانت صلبة جامدة.

قـال ابـن كثير: "أي تصير الجبال ككثبان الرمال، بعدما كانت حجارة صماء، ثم إنها تنسف نسفاً فلا يبقى منها شيء إلا ذهب"[1].

وبعد أن تصبح رملاً تتطاير كالصوف المنفوش إذا هب عليه الريح كما في قوله تعالى: ﴿**يـوم تكون السماء كالمهل * وتكون الجبال كالعهن**﴾(المعارج : 8-9). وأيضاً قوله: ﴿**وتكون الجبال كالعهن المنفوش**﴾(القارعة : 5).

العهن المنفوش: هو الصوف الأحمر أو ذو الألوان، شبه الجبال به في تلونها ألواناً[2].

وبذلك فإن الجبال بعد أن أصبحت رملاً فإنها تكون متناثرة متطايرة كالصوف المنفوش إذا طيرته الريح.

وبعـد هاتيـن المرحلتين للجبال حيث تصير رملاً مهيلاً، ثم عهناً منفوشاً، تأتي مرحلة الهباء المنثور.

وذلك في قوله تعالى:﴿**إذا رجت الأرض رجا * وبست الجبال بسا * فكانت هباء منبثا**﴾(الواقعة: 4-6).

أي إذا زلزلت وحركت الأرض تحريكاً شديداً فتهتز وترتج وتضطرب، وإنها ترج كما يـرج الصـبي فـي المهـد حـتى يـنهدم كل ما عليها من بناء، وينكسر كل ما فيها من جبال وحصون[3].

﴿**وبست الجبال بسا**﴾: أي فتتت تفتيتاً حتى صارت كالدقيق المبسوس – وهو المبلول – بعـد أن كانت شامخة ﴿**فكانت هباء منبثا**﴾ أي فصارت غباراً متفرقاً متطايراً في الهواء، كالذي يرى في شعاع الشمس إذا دخل النافذة، فهذا هو الهباء[4].

والمنبـث المتفـرق ، وهـذه الآيـة كقوله تعالى: ﴿**وتكون الجبال كالعهن المنفوش**﴾ (القارعة : 5).

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (169/14)؛ وجامع البيان: للطبري، (289/12-290) .

(2) انظر: جامع الأحكام: للقرطبي، (285/18).

(3) انظر: تفسير المنير: وهبة الزحيلي، (242/27)؛ تفسير القرآن: عبدا شحاتة، (م15/ج29/ص 6158)؛ جامع الأحكام: للقرطبي، (196/17).

(4) انظر: صفورة التفاسير: للصابوني، (305/3-306).

2- نسف الجبال:

فـبعد أن ذكر رج الجبال ومراحل تغير الجبال من رمل مهيل ثم عهن منفوش ثم هباء منثور؛ ذكر الحال الثانية التي تصيب الجبال وهي النسف.

فقـال تعالى: ﴿**ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفًا * فيذرها قاعاً صفصفاً * لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً** ﴾(طه : 105-107).

أي : ويسـألونك يا محمد عن الجبال كيف تكون يوم القيامة ، فقل لهم : (فينسفها ربي) أي : يفتتها كالرمل السائل ثم يطيرها كالريح ، وا يترك مكان الجبال قاعاً صفصفاً، والقاع: هو المنكشف من الأرض، دون أن يكون عليه نبات أو بناء، والصفصف: الأرض المستوية الملساء، حـتى لكـأن أجـزاءها صف واحد من كل جهة، وبعد اقتلاع الجبال لا ترى في الأرض عوجاً (مكانـاً منخفضاً) ولا آمتا: أي ولا مكاناً مرتفعاً؛ فالأرض كلها في ذلك اليوم مستوية ملساء؛ لا انخفـاض فيهـا ولا ارتفاعـاً، ينكشـف الناس جميعاً عليها؛ فلا يحجبهم منخفض أو مرتفع[(1)].

3- سير الجبال :

وهذا المصير النهائي للجبال (أي الزوال التام) كما يتضح من الآيات الكريمة التالية:

﴿**يوم تمور السماء مورا * وتسير الجبال سيرا**﴾(الطور : 9-10).

وأيضاً ﴿**وإذا الجبـال سيرت**﴾(االتكوير : 3)، وأيضاً ﴿**وسـيرت الجبال فكانت سرابا**﴾ (النبأ : 20).

سيرت: نسفت من أصولها، وقيل: أزيلت عن مواضعها[(2)]، أي إن الجبال نسفت وقلعت مـن أماكنها، حتى أصبح يخيل إلى الناظر أنها شيء وليست بشيء، كالسراب يظنه الرائي ماء وليس بماء.

قـال الطبري: "صارت الجبال بعد نسفها هباء منبثا لعين الناظر، كالسراب الذي يظنه من يراه ماء وهو في الحقيقة هباء"[(3)].

وإن الحكمـة مـن سير الجبال، الإنذار والإعـلام بأن لا رجوع ولا عودة إلى الدنيا؛ وذلـك لأن الأرض والسـماء وما بينهما من الجبال والبحـار وغيـر ذلـك إنما خلقت لعمارة

(1) انظر: مدارك التنزيل: للنسفي، (101/3)؛ وتفسير القرآن: لعبد ا شحاتة، (م8/ج16/ص3199-3200) ، وتفسير الجلالين للمحلي والسيوطي / 422 .

(2) جامع الأحكام: القرطبي، (176/19).

(3) جامع البيان: للطبري، (402/12).

الدنيا وانتفـاع بني آدم بذلـك، فلما لم يبـق لهـم عـودة إليهـا أزالها الله تعالى، وذلك لخراب الدنيا وعمارة الآخرة.

وبذلك يتضح لنا أن الجبال الصلبة الصادة العظيمة والكثيرة والعالية والمنتشرة والملونة بعد النفخ في الصور يوم القيامة ترجف وتحمل وترفع وتدك بالأرض وتدك الأرض بها ، وتُبس حـتى تصـير كثباناً رملية سائلة متطايرة كالعهن المنفوش والهباء المنبث ، ثم ينسفها الله ، أي يطـيرها من أماكنها بالريح ، وعندها تسير في الجو وينتهي أمرها ويتحول مكانها إلى سراب ، قال تعالى : ﴿ **وسيرتِ الْجِبالُ فكانَتْ سراباً** ﴾(النبأ : 20).

د- رجفة الأرض وزلزلتها ودكها :

بعد النفخ في الصور يوم القيامة ، فإن الأرض ترج رجاً ، وتزلزل زلزالاً ، وتدك دكاً ويدلنا على ذلك ما يلي :

قولـه تعالى : ﴿ **يوم ترجفُ الأرض والْجِبالُ** ... ﴾ (المزمل : 14)، أي : يوم القيامة بعد النفخ في الصور (ترجف الأرض) أي : تتزلزل الأرض وتتزعزع بشدة [1] وتهتز بعنف .

وقولـه تعـالى : ﴿ **إِذَا رجـتِ الأرض رجاً** ﴾ (الواقعة : 4)، أي : إذا زلزلت الأرض وحركت تحريكاً شديداً واهتزت وارتجت واضطربت حتى انهدم كل ما عليها من بناء ، وانكسر كل ما فيها من قلاع وحصون وجبال [2] .

وقوله تعالى : ﴿ **إِذَا زلْزِلَتِ الأرض زِلْزالها** ﴾(الزلزلة : 1).

الزلـزلة لغـة : هو هزة أرضية طبيعية تنشأ تحت سطح الأرض ، والزلزال : الهول والبلية والشدة ، وزلزلة وزلزالاً : هزة وحركة شديدة [3] .

ومعـنى الآيـة : أي تحركـت الأرض تحريكاً عنيفاً ، واضطربت اضطراباً شديداً ، واهتزت بمن عليها اهتزازاً مخيفاً مرعباً يقطع القلوب ويفزع الألباب [4] .

قـال الزمخشـري : "(زلـزالها) الذي تستوجبه في الحكمة ومشيئة الله ، وهو الزلزال الشـديد الـذي لـيس بعـده ، ونحوه قولك : أكرم التقي إكرامه وأهن الفاسق إهانته ، تريد : ما

---

(1) انظر : الكشاف للزمخشري 628/4 .

(2) انظر : التفسير المنير للزحيلي 242/27 ، وجامع الأحكام للقرطبي 196/17 ، وتفسير القرآن لعبد الله شحادة 6158/15 .

(3) انظر : معجم الوسيط 387/1 .

(4) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير 427/14 ، وفي رحاب التفسير لكشك 8056/9 .

يستوجبانه من الإكرام والإهانة أو زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه" [1] .

وقولــه تعالى : ﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِي الصورِ نَفْخَةٌ واحِدةٌ * وحمِلَتِ الْأَرض والْجِبالُ فَدكتَا دكَّــةً واحِــدةً** ﴾(الحاقة : 13-14)، أي : رفعــت الأرض والجبــال فضربتــا ببعضهما دكة ودقة واحدة فاندكتا واندقتا .

وبذلك يتضح لنا أن الأرض يوم القيامة تُرجف ، وتُرج ، وتُزلزل ، وتُدك ، وعبر عن هــذا المشــهد المرعب الرهيب المهول بهذه الأوصاف الأربعة مع تقاربها في المعنى والمراد ، وذلــك لتقريب المعنى والفهــم والمراد والمقصــود والتصور للقارئ ؛ لأن لفظاً واحداً فقط منها قد لا يؤدي الغرض أو الهدف المراد وا أعلم .

هــ - مد الأرض :

إن هــذه الأرض التــي نعيش عليها ، وعاش عليها الناس من أيام آدم ﷺ وسيعيشون عليها إلى يوم القيامة ببحارها وجبالها وأوصافها ستتبدل وتتغير إلى وصفٍ آخر .

وقــد بينا فيما سبق أن من تغير أوصافها زوال جبالها ، وذهاب بحارها ، وأنها تصير أرضاً منبسطة مستوية لا ارتفاع فيها ولا انخفاض .

ومن تبديلها أيضاً مدها ، وذلك قوله تعالى : ﴿ **وإِذَا الْأَرض مدتْ** ﴾(الانشقاق : 3)، وقد اختلف المفسرون في المراد من مدها في الآية إلى ثلاثة أقوال :

1- ذهب جمهور المفسرين إلى أنه زيد في سعتها بزوال أبنيتها وجبالها فصارت مستوية ودخلت فيها[2] .

2- قال ابن كثير : "أي : بسطت وفرشت ووسعت" [3] .

3- "قيل : مدت زيد في سعتها من المدد وهو الزيادة" [4] .

والذي يرجحه الباحثان أنها مدت ، أي : زيد في وسعها بشيئين (أولهما) : دخول قيعان ومساحات الجبال التي زالت والبحار التي غارت . (وثانيهما) : زيادة سعة مساحتها كزيادة سعة البالون بعد نفخه ، وذلك بكيفية يعلمها ا ، وهو على كل شيء قدير .

وبذلــك نكون قد جمعنا بين الأقوال الثلاثة للمفسرين رحمهم ا ، ولنا دليلان على هذا

---

(1) الكشاف للزمخشري 775/4 .

(2) انظر : التسهيل للكلبي 187/4 ، وتفسير الجلالين للسيوطي /791 ، وفتح القدير للشوكاني 406/5 .

(3) تفسير القرآن العظيم 488/4 .

(4) فتح القدير للشوكاني 406/5 .

الترجيح ، أحدهما : نقلي ، وثانيهما : عقلي ، وهما :

1- قال ﷺ : (تمد الأرض يوم القيامة مد العظمة [1] الرحمن ، ثم لا يكون لبشر من بني آدم إلا موضع قدميه ...) [2] .

2- إن الكرة الأرضية بحجمها المعروف ومع زوال جبالها وبحارها لا تتسع للإنس والجن والحيوانات جميعاً من أول أيام الدنيا وإلى يوم القيامة بعد بعثهم مرة أخرى ، فاقتضى هذا أن يمد الله الأرض ويوسعها لتكفيهم ، كما كفتهم في الدنيا أحياء وأمواتاً ، وهذه هي حكمة الله ، قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً** ﴾(المرسلات : 25-26).

ثالثاً : إخراج أثقالها وتحديثها وتبديلها :

أ- إخراج الأرض أثقالها :

يوم القيامة بعد النفخ الثاني في الصور تعود الحياة إلى الخلق مرة أخرى ، وذلك قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ** ﴾(الزمر : 68)، وقال تعالى : ﴿ **وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا** ﴾ (الزلزلة : 2).

اختلف المفسرون في المراد من كلمة (أثقالها) إلى ثلاثة أقوال :

1- أي : أمواتها ، وبه قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما [3] .

2- أي : كنوزها ، وبه قال القرطبي [4] .

3- أي : كنوزها وموتاها ، وبه قال عطية [5] .

والذي يرجحه الباحثان هو القول الثالث لعموم قوله تعالى : (أثقالها) ، فاللفظة تشمل الإنس والجن ، وتستلزم الحيوانات ، وتشمل أيضاً كنوزها لأنها أثقال ، ولا دليل لتخصيص عموم الآية ، ومما يعزز هذا الترجيح دليلان :

أولهما : قوله ﷺ في عذاب الكافر والمنافق في القبر : (... ويضرب بمطارق من حديد ضربة

---

(1) مد العظمة : أي مد كبير وعظيم في الطول والعرض . انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير 260/3 .

(2) المستدرك للحاكم ، ك (الأهوال) 570/4 ، 571 ، وصححه الحاكم ، وقال عنه السيوطي : "وأخرجه الحاكم بسند جيد" ، والدر المنثور 456/8 ، ط (دار الفكر) .

(3) انظر : الدر المنثور للسيوطي 592/8 .

(4) انظر الجامع لأحكام القرآن 147/20 .

(5) انظر : الدر المنثور للسيوطي 592/8 .

فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين) (1) ، أي : غير الإنس والجن .

وثانـيهما : ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول ا ﷺ : (تقيء الأرض أفلاذ كـبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول : في هذا قتلت ، ويجيء القاطع فـيقول : فـي هذا قطعت رحمي ، ويجيء السارق فيقول : في هذا قطعت يدي ، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً) (2) .

وبذلك يتضح لنا أنه بعد النفخ الثاني في الصور تخرج الأرض أثقالها من موتى الإنسان والجـان والحيـوان وذلـك للحساب ، وأثقالها من كنوز الذهب والفضة ليلوم الناس أنفسهم على ما فرطوا في حق ا تعالـى ، ولذلـك يسمى يوم القيامـة بيوم الندامة لأن الكافر يندم يومئذٍ إذ لم يؤمن ويعمل صالحاً ، وكذلك المؤمن يندم إذا لم كثير من الطاعات ويقل من المعاصي .

ب- حديث الأرض وشهادتها :

بعد النفخ الثاني في الصور ، وبعد خروج الأموات من قبورهم ، فإنهم يتساءلون : ماذا حدث للأرض ؟ ماذا جرى ؟ ما لها ؟ قد كنا أمواتاً في بطنها ! والآن نحن أحياء على ظهرها ! ما شأنها ؟ ما خبرها ؟ ما الأمر ؟

عـندها تجيبهم أمهم الأرض عن هذه الأسئلة ، وذلك قوله تعالى : ﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْض زِلْـزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرض أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنسان مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَن ربك أَوحى لَهَا** ﴾(الزلزلة : 1-5).

فقـول الإنسـان : (ما لها) على سبيل التعجب من هول ما يحدث وما يرى من البعث والنشور والحساب والملائكة واليوم الآخر ... الخ .

واختلف العلماء في المراد من الإنسان في الآية إلى قولين :

1- إنـه الإنسان الكافر ؛ لأنه رأى اليوم الآخر وما فيه وقد كان يكفر به ولا يظن به ولا يصدقه وبه قال ابن عباس (3) .

2- إنـه الإنسان المؤمن والكافر ، فالكافر لما سبق ذكره ، والمؤمن ومنع إيمانه المسبق بالبعث

---

(1) صحيح البخـاري ، ك 23 (الجنائـز) ، ب 86 (ما جاء في عذاب القبـر) 301/1 ، ح (1374) ، ط(مكتبة الصفا) .

(2) صحيح مسلم ، ك 12 (الزكاة) ، ب 18 (الترغيب في الصدقة ...) 701/2 ، ح (1013) .

(3) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 148/20 ، والمحرر الوجيز لابن عطية 535/15 .

إلا أنه قد استهول المرأى [1] .

(قلـنا) : والـراجح هـو القول الثاني ، لأن لفظ (الإنسان) في الآية عام يشمل الكافر والمؤمـن ، ولا دليل على تخصيصه ، ثم إن المؤمن في الدنيا يسأل عن أمور دون ذلك بكثير ، فكيف لا يسأل عما يحدث يوم القيامة !

وقولـه : ﴿ **يَومـئِذٍ تُحـدِّثُ أَخْبارها * بِأَن ربكَ أَوحى لها** ﴾ (الزلزلة : 4-5): أي : أوحـى الله إلى الأرض وأمرها أن تنشق وأن تخرج من بطنها على ظهرها أمواتها أحياء ، وأن تحدث الناس بأن الله عز وجل هو الذي أمرها أن تخرج ما في بطنها من الموتى ، بل وأن تشهد عليهم بما فعلوا على ظهرها في أيام الدنيا الخوالي من خير ومن شر .

أخـرج الـترمذي عـن أبي هريرة قال : "قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ **يَومئِذٍ تُحدثُ أَخْـبارها** ﴾ قال : (أتدرون ما أخبارها؟) قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : (فإن أخبارها أن تشهد علـى كـل عـبد وأمة بما عمل على ظهرها ، أن تقول : عمل كذا وكذا ، يوم كذا وكذا ، فهذه أخبارها) [2] .

﴿ **أَوحى لها** ﴾ أي أن الله أمرها وقال القرطبي : أمرها أن تنشق عنهم [3] .

ويرى الباحثان أن الله عز وجل أمر الأرض أن تُخرج أثقالها ، وأن تحدث عن أخبارها ومـن ذلـك أمـران : (أولهما) أن الله هو الذي أمرها أن تُخرج أثقالها (وثانيهما) أن تشهد على الناس بما فعلوا عليها من خير ومن شر .

﴿ **يومـئِذٍ يصدر الناس أَشْتاتاً لِيروا أَعمالهم** ﴾ : أي إن الناس يصدرون ، وذلك عند النشور ، أشتاتاً من القبور ، أي أنواعاً وأصنافاً ، ما بين شقي وسعيد ، مأمور إلى الجنة ومأمور به إلـى النـار ، وأنهم يبعثون من أقطار الأرض ، ويكونوا متفرقين عن موقف الحساب [4] .

فمـن يعمـل من الكفار مثقال ذرة خيراً يره في الدنيا ولا يثاب عليه في الآخرة ، ومن يعمـل مثقال ذرة من شر عوقب عليه في الآخرة ، مع عقاب الشرك ، ومن يعمل مثقال ذرة من

---

(1) انظر : المحرر الوجيز لابن عطية 535/15 .

(2) سنن الترمذي ، ك 44 (تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ) ، ب 88 (ومن سورة إذا زلزلت الأرض زلزالها) ح (3353) ، ص 761 ، حسن صحيح .

(3) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (429/14) .

(4) انظر : جامع البيان للطبري (661/12) ، وتفسير القرآن لابن كثير (429/14) ، جامع الأحكام للقرطبي (150/20) ، في رحاب التفسير لكشك (8057/9) .

شر من المؤمنين يره في الدنيا ، ولا يعاقب عليه في الآخرة إذا مات ، ويتجاوز عنه ، وإن عمل مثقال ذرة من خير يقبل منه ، ويضاعف له في الآخرة [1] .

وبعـد ... فـإن أحـوال الأرض يوم القيامة كل حال مترتب على الآخرة فإنه في يوم القيامة تزلزل الأرض ، وذلك في النفخة الأولى ، ثم بعد ذلك النفخة الثانية تنشق الأرض وتخرج الأمـوات وذلـك للحساب ، وبعد ذلك عند المحاسبة يستنكر الإنسان ويستعجب من الأرض التي كانـت صـامتة ، ففي هـذا اليوم تنطق وتدافع عن نفسها ، وإن هذا الحديث ليس بإرادتها ولا طاقـتهـا وإنمـا هـو أمر من عنـد ا ،لتبيـن وتكشف عن عيوب الناس ، وما كانوا يفعلون فوقها.

المطلب الثاني : تبدل الأرض ووراثة ا لها :

أولاً : تبدل الأرض غير الأرض :

لا خلاف بين المفسرين والعلماء أن الأرض تبـدل يـوم القيامة ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ **يوم تُبدلُ الأرض غَير الأرض والسماواتُ وبرزوا لِلهِ الواحِدِ القهار** ﴾(إبراهيم : 48).

ولكـن اختلفوا هل تُبدل الأرض بصفاتها فقط ، أم تبدل الأرض بأرضٍ أخرى ، أي : تطوى أرض الدنيا ، ويؤتى بأرض الآخرة وهي أرض جديدة لم يعهدها البشر بدلاً عن الأولى .

وفـي ذلـك يقـول العلامة الشوكاني : "والتبديل يكون في الذات كما في بدلت الدراهم دنانـير ، وقـد يكون في الصفات كما في بدلت الحلقة خاتماً ، والآية تحتمل الأمرين ، وقد قيل المراد تغير صفاتها ، وبه قال الأكثر ، وقيل تغير ذاتها" [2] .

قـال ابـن عـباس في معنى الآية : "يزاد فيها وينقص منها ، وتذهب آكامها وجبالها وأوديتها وشجرها وما فيها ، وتمد مد الأديم العكاظي ، أرض بيضاء مثل الفضة ، لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة" [3] .

وقال عكرمة في الآية : "بلغنا أن هذه الأرض تطوى وإلى جنبها أخرى ، يحشر الناس منها إليها" وقال أبي بن كعب : "تغير السماوات جناناً ويصير مكان البحر ناراً ، ويتبدل الأرض غـيرها" ، وقال ابن مسعود : "الأرض كلها نار يوم القيامة" ، وقال ابن زيد في الآية : "هذا يوم

---

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب (3956/6) .

(2) فتح القدير 118/3 .

(3) الدر المنثور للسيوطي 57/5 .

القيامة ، خلق سوى الخلق الأول" [1] .

(قلـنا) : ولعل التعبير القرآني (يوم تبدل الأرض غير الأرض) فيه إشارة بقوله (غير الأرض) إلى أرض أخرى جديدة لم يعرفها الناس والله أعلم .

وسواء كان تبديل الأرض بتبديل صفاتها أو بتبديل ذاتها ، فالعبرة بما أعده المرء لنفسه فـي ذلك اليوم ، وذلك لما أخرج البخاري عن قتادة عن أنس (أن رجلاً من أهل البادية أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله : متى الساعة قائمة ؟ قال : "ويلك ما أعددت لها" قال : ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله . قال : "إنك مع من أحببت" فقلنا : ونحن كذلك ؟ قال : "نعم" ففرحنا يومئذٍ فرحاً شديداً)[2] .

ويكـون الناس عند تبديل الأرض في الظلمة دون الجسر وعلى الصراط لما روى مسلم وغـيره عن ثوبان رضي الله عنه قال : جاء حبر من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقال : أين يكون الناس يوم تـبدل الأرض غير الأرض والسماوات ؟ فقال رسول الله ﷺ : (هم في الظلمة دون الجسر) [3] ، ولمـا روى مسلم وغيـره عن عائشـة رضي الله عنها قالـت : سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل : ﴿ **يوم تُبدلُ الأرض غيَر الأرض والسماوات**﴾ فأين يكون الناس يومئذٍ يا رسول الله ! فقال : (على الصراط) [4] .

وتـبدل الأرض بـأرض بيضـاء تشبه الفضة ليس فيها معلم لأحد ، لم يرتكب عليها معصـية ، لمـا روي عـن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ في قول الله : ﴿ **يوم تُبدلُ الـأرض غيَر الأرض** ﴾ قال : (أرض بيضاء كأنها فضة ، لم يسفك فيها دم حرام ولم يعمل فيها خطيئة)[5]، ولما روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد قـال : سمعت النبي ﷺ يقول : (يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة نقي ليس فيها معلم لأحد) [6] .

---

(1) المرجع السابق 58/5 ، 59 .

(2) صحيح البخاري ، ك 78 (الأدب) ، ب 95 (ما جاء في قول الرجل ويلك) 172/3 ، ح (6167) .

(3) صحيح مسلم ، ك3 (الحيض) ، ب8 (بيان صفة من الرجل ...) 252/1 ، ح (315) .

(4) صحيح مسلم ، ك 50 (صفات المنافقين وأحكامهم) ، ب 2 (البعث والنشور ...) 2150/4 ، ح (2790) .

(5) أخرجه البزار وابن المنذر والطبراني وابن مردويه والبيهقي في البعث ، الدر المنثور للسيوطي 5/ 56 .

(6) صحيح البخاري ، ك81 (1/الرقاق) ، ب 44 (يقبض الله الأرض يوم القيامة) 250/3 ، ح (6521)، وصحيح مسلم ، ك 50 (صفات المنافقين وأحكامهم) ، ب3 (نزل أهل الجنة) 2150/4 ، ح (2790).

وتكون هذه الأرض خبزة يأكل منها المسلمون يوم القيامة لما روى البخاري ومسلم أن رسـول ا ﷺ قال : (تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خـبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة) فأتى رجل من اليهود فقال : بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخـبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة ؟ قال : (بلى) قال : تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبي ﷺ فنظر النبي ﷺ ثم ضحك حتى بدت نواجذه ، ثم قال : ألا أخبرك بإدامهم ؟ قال : إدامهم بالام ونون فقالوا : وما هذا ؟ قال : ثور ونون يأكل من زائده كبدها سبعون ألفاً) (1) .

وذهـب سعيد بن جبير وعكرمة ومحمد بن كعب القرظي أن الأرض تبدل خبزة بيضاء يأكل منها المسلمون من تحت أقدامهم حتى يفرغوا من الحساب (2) .

هـذا مـا ذهـب إليه المفسرون في تبديل الأرض يوم القيامة ، بينما العلماء قالوا : إن الدراسة الحالية تدل على أن الألواح النكتونية التي يتكون منها سطح الأرض ، تتحرك باستمرار إمـا متباعدة ، أو متقاربة من بعضها بسرعة بطيئة ، وسوف يؤدي تحركها في النهاية إلى تجمع القـارات الست المعروفة حالياً (الأمريكتين ، وآسيا ، وأوروبا ، وأفريقيا ، واستراليا) مع الزمن الجيولوجي في مكان واحد بشمال شرق الكرة الأرضية ، لكي تكون قارة واحدة عملاقة يحيط بها محيط واحد ضحل الماء هكذا ، فإن الأرض سوف تبدل في آخر الزمان بغير الأرض المعروفة حالياً (3) .

(قلـنا) : وهـذا أمر غيبي لا يعلمه إلا ا ، ثم هذه النظرية أو الفرضية تحتاج لآلاف السنين حتى تتحقق ، بينما الواقع يثبت أن غالب علامات القيامة الصغرى قد تحققت .

إذن نحـن بيـن يدي علامات القيامة الكبرى ، قال تعالى : ﴿ **اقْتَرَبتِ الساعةُ وانْشَقَ القَمر**﴾(القمر : 1)، وهذا كان أيام النبي ﷺ فكيف الآن الاقتراب بعد 1400سنة ؟

ثانياً : وراثة ا للأرض :

إن هـذه الأرض سـيتغير نظامها كما سبق يوم القيامة، ويعود ميراثها لخالقها ومبدعها والتفصيل كما يلي:

قال تعالى: ﴿**ولِلّهِ مِيراثُ السماواتِ والأرضِ واللّه بِما تَعملُون خَبِير**﴾ (آل عمران : 180) قوله :

---

(1) صحيح البخاري ، ك81 (1/الرقاق) ، ب 44 (يقبض ا الأرض ...) 250/3 ، ح (6520) ، وصحيح مسلم ، ك 50 (صفات المنافقين وأحكامهم) ، ب3 (نزل أهل الجنة) 2151/4 ، ح (2792).

(2) انظر : الدر المنثور للسيوطي 58/5 .

(3) خلق السماوات والأرض لعلي السكري ، (73) .

﴿**ولِلّهِ مِيراثُ**﴾ "فيه قولان:

أحدهمـا : أنـه تعالى له ملك جميع ما يقع من إرث في السموات والأرض، وإنه هو المالك له حقيقة، فكل ما يحصل لمخلوقاته مما ينسب إليهم ملكه هو مالكه حقيقة.

الثانـي: أنه أخبر بفناء العالم، وأن جميع ما يخلفونه فهو وراثة وهو خطاب على ما يفهم البشر، دل على فناء الجميع، وأنه لا يبقى مالك إلا الله، وإن كان ملكه على كل شيء لم يزل[1].

والمـيراث في الأصل هو ما يخرج من مالك إلى آخر ولم يكن مملوكاً لذلك الآخر قبل انتقاله إليه بالميراث، هذا بالنسبة للبشر ، أما الله جل ثناؤه فهو وحده سبحانه المالك لكل خلقه من ملائكـة وإنس وجن وحيوانات وجمادات ، ومما نعلم ومما لا نعلم ، وملكه ثابت له سبحانه قبل يوم القيامة وبعدها ، أي : من الأزل منذ خلق خلقه وإلى الأبد .

والأدلـة كثـيرة جـداً في القرآن ، ومنها على سبيل المثال قوله تعالى : ﴿ **ولِلهِ ملْك السـماواتِ والأرض** ﴾(آل عمران : 189) ، وقوله بشأن ملكه لما فيهن : ﴿ **لِلهِ ملْك السماواتِ والأَـرض ومـا فِيهن** ﴾ (المائدة : 120) ، وقوله بشأن ملكه لما بينهما : ﴿ **ولِلهِ ملْك السماواتِ والأَـرض ومـا بينَهما** ﴾ (المائدة : 18) ، وقوله بشأن ملكه لكل خلقه : ﴿ **قُلِ اللهم مالِك الْملْكِ تُؤْتِي الْملْك من تَشاء وتَنْزِع الْملْك مِمن تَشاء** ... ﴾(آل عمران : 26) .

وإذا كـان الله سـبحانه قد ملك عباده بعضاً من ملكه في الدنيا وهم في الحقيقة هم وما يملكـون ملـك الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ **والله يؤْتِي ملْكه من يشاء** ﴾(البقرة : 247)، وأحياناً ينـزعه منهـم ويداوله بينهم ، قال تعالى : ﴿ **تُؤْتِي الْملْك من تَشاء وتَنْزِع الْملْك مِمن تَشاء** ﴾ (آل عمران : 26).

إذا كـان الأمـر كذلك في الدنيا ، فإنه يختلف يوم القيامة ، فإن الله هو المالك والوارث الوحيد لخلقه ، وما أعطاه لخلقه من ملكه في الدنيا فإن الله يرثه يوم القيامة ، ويأتي الإنسان يوم القيامة لا ملك له البتة ، حافياً ، عرياناً ، غرلاً .

ومعلوم إن الله سبحانه هو المالك بالحقيقة لجميع مخلوقاته؛ وذلك لأنه يوم القيامة سيفنى جمـيع ما على الأرض ولا يبقى سوى وجه الله الكريم، قال تعالى: ﴿**كُلُّ من عليها فَانٍ * ويبقَى وجه ربك ذُو الْجلَالِ والْإِكْرامِ**﴾(الرحمن : 26-27)، ففي هذه الآية يخبر الله تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعين، وكذلك أهل السموات، إلا من شاء الله ، ولا يبقى سوى وجهه

---

(1) انظر: جامع الأحكام: للقرطبي، (293/4)؛ وفتح القدير: للشوكاني، (509/1)؛ والبحر المحيط: لأبي حيان، (134/3).

الكريم، فإن ا تبارك وتعالى وتقدس لا يموت، بل هو الحي الذي لا يموت أبداً .

ومن ذلك الأرض يرثها ا عز وجل ليس لأحد غير ا فيها أي شبر ، فا هو المالك والوارث الوحيد لها سبحانه .

وما يدل على أن ا يرث السموات والأرض قوله: ﴿**ولِلهِ مِيراثُ السماواتِ والأرض**﴾ (الحديـد : 10)، وأيضاً ﴿**إنا نَحن نَرثُ الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون**﴾ (مريم : 40)، ففي هاتيـ ـن الآيتيـن بيان أن الخلـق كلهـم يهلكون ويبقى ا تعالى وتقدس، ولا أحد يدعي ملكاً ولا تصرفاً، بل هو الوارث لجميع خلقـه الباقي بعدهم الحاكم فيهم، فلا تظلم نفس شيئاً، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته[(1)].

وأخـرج ابن أبي حاتم: عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عامله بالكوفة، أما بعد: فـإن ا كتـ ـب علـى خلقه حين خلقهم الموت فجعل مصيرهم إليه، فقال فيما أنزل في كتابه الصـادق الـذي أنزلـه بعلمـه وأشـهد ملائكته على خلقه أنه يرث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون[(2)].

وهـذا كلـه يدل على أن ا هو المالك لكل شيء، وهـذا يعني أن من يملك أي شيء لا يكون أكثر من وصي على هـذه الممتلكـات التي تعـود في الواقع إلى ا الواحد؛ لذلك على الملـوك اليـوم أن يدركـوا أن هـذا الملـك ليس دائماً لهم، بل هو زائل فلا يتفاخروا ولا يفسدوا في الأرض ، ولو دام لغيرهم لما وصل إليهم .

قـال سـبحانه : ﴿ **يوم هم بارِزون لا يخْفَى على اللهِ مِنْهم شَيء لِمن الْملْك الْيوم لِلهِ الْواحِدِ الْقهار** ﴾(غافر : 16).

"قال المفسرون : إذا هلك كل من في السماوات والأرض ، فيقول الرب تبارك وتعالى : ﴿ **لِمـن الْملْـك الْيـَوم** ﴾ يعنـي يوم القيامـة ، فلا يجيبه أحد ، فيجيب تعالى نفسه ، فيقول : ﴿**لِلهِ الْواحِدِ الْقهار** ﴾ . قال الحسن : هو السائل تعالى ، وهو المجيب حين لا أحد يجيب فيجيب نفسه" [(3)] .

ومما يحسن أن نختم به هذه العنـوان ، وهـو أن ا عز وجل يملك الأرض ويرثها ،

---

(1) انظر: جامع البيان: للطبري، (346/8)؛ تفسير العظيم: لابن كثير، (250/9)؛ في رحاب التفسير: لكشك: (2324/3).

(2) الدر المنثور: للسيوطي، (513/5)

(3) فتح القدير للشوكاني 485/4 ، ط (دار الفكر) .

أحوال الأرض ونهايتها

مـا أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : (يقبض ا الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض) [1] .

وهـذا الحديث مصدق لقوله تعالى : ﴿ **والأرض جميعاً قبضتُه يوم القِيامةِ والسماواتُ مطْويات بيمينِه** ﴾(غافر : 67).

الخاتمة :

وتشـتمل على أهم النتائج التي توصل إليها الباحثان ، إضافة إلى توصياتهم ، وتفصيل ذلك كما يلي :

أولاً : أهم نتائج البحث :

1- اهـتمام القرآن الكبير بموضوع الأرض ، حيث تحدث عنها في نحو أربعمائة وإحدى وستين آية.

2- إن الأرض مـن نعم ا الكبرى على الإنسان بذاتها ، وبما انبثق عنها من نعم أخرى كثيرة كالهواء والطعام والشراب والكساء والدواء ... الخ .

3- الأرض الممهـدة المذللة المسخرة للإنسان التي تمدنا بالخيرات والبركات ، من الأدوات التي يعذب ا بها أعدائه .

4- إن هذه الأرض مسخرة للإنسان وصالحة للحياة منذ خلق ا آدم ﷺ وإلى يوم القيامة .

5- ا وحـده هـو الذي سينهي وظيفة الأرض بيوم القيامة وليس غيره كأسلحة الدمار الشامل أو تغير المناخ العالمي .

6- إن نظـام الأرض سيتغير يوم القيامة حيث ستتزلزل الأرض وتشتعل بحارها وتزول جبالها ويمد فيها ... الخ .

7- الأرض تشهد على الناس بما عملوا عليها من خيرٍ ومن شرٍ يوم القيامة .

8- ا – جل ثناؤه – الوارث الوحيد للأرض وما عليها يوم القيامة .

ثانياً : أهم التوصيات :

1- علـى العلمـاء والباحثيـن أن يهتموا بآيات الأرض في القرآن ليستخرجوا لنا من أسرارها العجيبة وكنوزها المكنونة .

2- ينبغـي على كل مسلم أن يشكر ا ويحمده كثيراً على نعمة الأرض وما انبثق عنها من نعم أخرى كثيرة بالقلب ، وباللسان ، وبالجوارح .

---

(1) صحيح البخاري ، ك 81 (الرالرقاق) ، ب 44 (يقبض ا الأرض ...) 250/1 ، ح (6519) .

3- على المسلمين أن يعمروا الأرض بالحضارة ، وبإقامة الدين ، وبطاعة رب العالمين .

4- علـى الـناس عامـة وعلى المسلمين خاصة أن يحافظوا على نعمة الأرض فلا يغيروا من أوصـافها الطبيعية بالتخريب كقطع أشجار الغابات ، أو التدمير بالأسلحة الذرية والكيميائية ، أو التلويث بالإشاعات النووية أو الانحباس الحراري الذي ثقب طبقة الأزون .

المصادر والمراجع :

1- القرآن الكريم .

2- الآثار والتاريخ: الدكتورالمهندس خالد فائق العبيدي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2005م

3- الأساس في التفسير: سعيد حوى، دار السلام، ط1، 1405هـ - 1985م.

4- أنـوار التنزيل وأسرار التأويل : لناصر الدين أبي سعيد البيضاوي ، ط (1416هـ -1996م) ، دار الفكر .

5- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: أبي بكر جابر الجزائري، دار لينة، دون تاريخ.

6- الـبحر المحـيط: محمـد بـن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجـود، وعلي محمد معوض، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1422هـ - 2001م.

7- التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون- تونس، دون تاريخ.

8- تفسير الإمامين الجليلين : لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي ، ط (الأنوار المحمدية) .

9- تفسـير القرآن العظيم : عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: مصطفى السـيد محمد و محمـد السيد رشاد وآخرون، مؤسسة قرطبة، ط1، 1421هـ -2000م ، ط (1388هـ -1969م) دار المعرفة ، بيروت.

10- تفسير القرآن بالقرآن : عبد ا شحاتة، دار غريب، 2000م.

11- التفسـير الكبـير : للإمـام الفخر الرازي ، ط2 (1417هـ -1997م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

12- تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : وهبة الزحيلي، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط1، 1991م.

13- تفسير مجاهد بن جبر : تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديث، ط 1، 1410هـ، 1989م.

14- جـامع البـيان في تأويل القرآن : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط3، 1420هـ-1999م.
15- الجـامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار القلم، ط3، 1386هـ، 1966م.
16- خلـق الأرض والسـماوات نظرات علمية ودينية : د. علي السكري، دار الكتاب الحديث، 1422هـ-2001م.
17- الدر المنثور في التفسير المأثور : للإمام عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، ط (دار الفكر) .
18- زاد المسير في علـم التفسـير : أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط1، 1422هـ-2001م.
19- سنن أبي داود : للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، ط(دار الفكر) .
20- سنن الترمذي : الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، حكم على أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط1.
21- صـحيح البخاري : أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، 1419هـ-1998م ، ط (1423هـ-2003م) ، مكتبة الصفا .
22- صحيح مسلم : للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار ابن رجب، ط1، 1422هـ-2002م.
23- صفوة التفاسير : محمد علي الصابوني، دار الصابوني، ط9.
24- فـتح الـباري بشرح صحيح البخاري : للحافظ أبي الفضل شهاب الدين علي بن محمد بن حجر العسقلاني الشافعي ، ط2 (1402هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
25- فـتح القديـر الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: هشام البخاري وخضر عكاري، مكتبة ابن تيمية، دون تاريخ ، ط(1423هـ-2003م) ، مكتبة الصفا .
26- في رحاب التفسير : عبد الحميد كشك، المكتب المصري الحديث، 1407هـ-1987م.
27- في ظلال القرآن : سيد قطب، دار الشروق، ط9، 1400هـ-1980م.
28- القـاموس المحـيط : مجـد الديـن محمـد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الفكر، 1415هـ-1995م.
29- قصـص الأنبياء : أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن زرع القرشي، دار

ابن الهيثم للنشر والتوزيع، القاهرة(مصر)، 2002م ، وط : (دار العقيدة) ، تحقيق حلمي الرشيدي .
30- القيامة الصغرى : د.عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، ط12، 1421هـ-2000م.
31- كبرى اليقينيات الكونية : محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، ط1، 1389هـ-1969م.
32- الكشـاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : الإمام أبي القاسم جـ ـار ا محمـود بن عمـر بن محمد الزمخشري، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1415هـ-1995م.
33- لسـان العـرب : جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1424هـ-2003م.
34- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسـي، تحقيق: عبد ا بن إبراهيم الأنصاري، السيد عبد العال السيد إبراهيم، دار الكتاب الإسلامي، ط2.
35- مختار الصحاح : محمد بن أبي بكـر بـن عبـد القادر الرازي، رتبه محمود خاطر، دار الفكر، بيروت، دون تاريخ.
36- مـدارك التنزيل وحقائق التأويل : عبد ا بن أحمد النسفي، تحقيق: مروان محمد الشعار، دار النفائس، ط1، 1416هـ-1996م.
37- المسـتدرك علـى الصحيحين في الحديث : للحافظ أبي عبد ا النيسابوري ، دار الفكر ، بيروت ، ط (1398هـ-1978م) .
38- معجـم المفهـرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، 1422هـ-2001م.
39- معجم الوجيز : مجمع اللغة العربية، ط1، 1400هـ-1980م.
40- معجم الوسيط:إبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر وآخرون، تحقيق : حسن علي عطية، ط2.
41- مفردات ألفاظ القرآن : الراغب الأصفهاني، دار القلم، دمشق، ط3، 1423هـ-2002م.
42- المقتطف من عيون التفاسير: لمصطفى الحسن المنصوري ، تحقيق محمد علي الصابوني ، ط (دار السلام) .
43- الـنهاية في غريب الحديث والأثر : للإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناعي ، ط (دار الفكر) .

وآخر دعوانا أن الحمد رب العالمين